مجلة جامعة الملك سعود، م ٢، الآداب (١)، ص ص ٣٧ - ٧٤ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

أبو الخطاب المفضل بن ثابت الصابىء
وما تبقى من نثره: نثر ودراسة

محمد يونس عبدالعال رضوان
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية

ملخص البحث. لم يحظ أبو الخطاب المفضل بن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الصابىء بعناية الإخباريين والمصنفين وكتّاب التراجم، وكل ما وصل إلينا من نثره فصول متفرقة أوردها الثعالبي والحصري والقلقشندي والنويري في مؤلفاتهم، تشير إلى أنه علم من أعلام البيان في القرن الرابع الهجري.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن جوانب من شخصية هذا الكاتب، وجمع ما تبقى من آثاره الأدبية، ودراستها دراسة موضوعية وفنية، بقدر ما تسعف المصادر القديمة.

فتحدثتُ في البداية عن أسرته، وما شهروا به من علم وثقافة وبخاصة في الطب، وعرضتُ لصلاته ببعض مشهوري عصره من الأمراء والوزراء، وأشرتُ إشارات — شعرت أنها ضرورية — إلى ديانته، وثقافته وأخلاقه، وفي أثناء ذلك كله وازنت بينه وبين ابن عمه أبي إسحاق بن إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤هـ) وألمحت إلى نوع من التشابه القوي بينهما، ذلك أنهما عملا سويًّا في الدواوين الحكومية، وشهد الناس لهما بالتقدم، مع ما يبدو من أن العلاقة بينهما لم تكن تتسم بالمودة الخالصة.

وقد ارتأيت أن أنشر ما عثرت عليه من نثر أبي الخطاب، مجموعًا، مشروحًا، حرصت فيه على ذكر رواياته المختلفة، وما وقع فيه من تحريف أو تصحيف.

وقد بدا من هذا النثر القليل أنه كاتب مجيد، غزير المعاني مسيطر على لغته وأساليبه، كما بدا أنه وصّاف بارع وفكه ساخر، مع حرصه على هندسة عباراته وتوشيتها بالأسجاع والمزاوجات.

الكاتب

لا يعرف المحدثون شيئًا ذا بال عن أبي الخطاب المفضل بن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الصابي،(١) فقد أغفله كتّاب التراجم على كثرتهم، وضنّ المصنفون بأخباره وكتاباته،

---

(١) كذا ورد اسمه كاملاً، متبعًا بلفظ «رضي الله عنه» في عنوان رسالة كتبها إليه ابن عمه؛ انظر: أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، *المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي*، تحقيق ودراسة محمد يونس عبدالعال (القاهرة: رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة، ١٩٧٨م) القسم الثاني ص ٤٠٣. وهو: «أبو الخطاب المفضل بن ثابت الصابي» في: *ديوان السريّ الرفاء* (دمشق: القدسي، ١٣٥٥هـ)، ص ٤١ ومثله محرّفًا في: *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، لعبدالملك بن محمد الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة: السعادة، ١٣٧٧هـ)، مج ٢، ص ١٤٥، وفي *معاهد التنصيص على شواهد التلخيص*، لعبدالرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة: السعادة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، مج ٤، ص ١١، ففي هذين المصدرين: «الضبي» مرضع «الصابي». و «أبو الخطاب بن ثابت الصابي» في *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، لحازم بن محمد بن حسن القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط ٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ص ١٩١. و «أبو الخطاب الصابي» في: *الإمتاع والمؤانسة*، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٤م)، مج ٣، ص ٢١٣؛ *رسالة الصداقة والصديق*، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني (دمشق: دار الفكر، ١٩٦٤م)، ص ٨٨؛ و *المقابسات* لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، ط ١ (القاهرة: الرحمانية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م)، ص ١٥١؛ و*سحر البلاغة وسر البراعة*، لعبدالملك بن محمد الثعالبي، تحقيق أحمد عبيد (دمشق: الترقي، د.ت.)، ص ٧؛ و *خاص الخاص*، لعبدالملك بن محمد الثعالبي (بيروت: د.ن.، ١٩٦٦م)، ص ٢٠؛ و *برد الأكباد في الأعداد*، لعبدالملك بن محمد الثعالبي الرسالة الثانية ضمن مجموعة «خمس رسائل» (بيروت: دار البيان، د.ت.)، ص ١٣٢؛ و *زهر الآداب وثمر الألباب*، لإبراهيم بن علي بن تميم الحصري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١ (القاهرة: الحلبي، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، مج ١، ص ٥٤٧؛ و*جمع الجواهر*، لإبراهيم بن علي بن تميم الحصري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١ (القاهرة: الحلبي، ١٣٧٢/١٩٥٣م)، ص ٣٥٣؛ و *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (القاهرة: الأميرية، ١٩١٣ و ١٩١٥م)، مج ٢، ص ٤٤٢؛ مج ٩، ص ١٢٧؛ و *نهاية الأرب في فنون الأدب*، لأحمد بن عبدالوهاب بن محمد النويري (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م - ١٩٣٣م)، مج ٧، ص ٢٣؛ مج ١٠، ص ١٢٨؛ و «أبو الخطاب الكاتب» فقط في: *المقابسات*، للتوحيدي، ص ٣٢٦؛ و *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*، لعبدالملك بن محمد الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: المدني، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص ٥٥.

فلم يصل إلينا منها إلا إشارات متناثرة ونتف قليلة، تشير إلى أنه علم من أعلام البيان، وكبير من كبراء الكتاب في القرن الرابع الهجري، كما تشير أيضًا إلى أنه ابن عم الكاتب المشهور أبي إسحاق إبراهيم بن هلال.

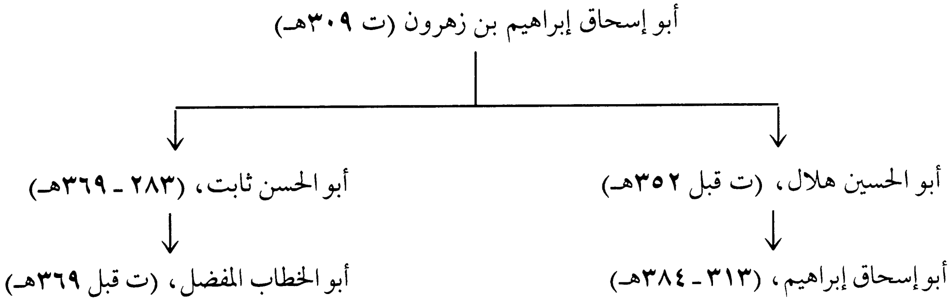
أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون (ت ٣٠٩هـ)
أبو الحسين هلال، (ت قبل ٣٥٢هـ)
أبو الحسن ثابت، (٢٨٣ ـ ٣٦٩هـ)
أبو إسحاق إبراهيم، (٣١٣ ـ ٣٨٤هـ)
أبو الخطاب المفضل، (ت قبل ٣٦٩هـ)

وقد ترجم القفطي لجده إبراهيم بن زهرون الحراني المتطبب، فقال عنه: «أظنّه جدّ إبراهيم بن هلال الكاتب»،(٢) وذكر ابن أبي أصيبعة أنه: كان طبيبًا مشهورًا وافر العلم في صناعة الطب.»(٣)

وكان أبوه ثابت — كما وصفه ابن النديم — طبيبًا محذقًا مصيبًا. . ضنينًا بما يحسنه «صنف كثيرًا من الكتب،(٤) ويقال إنه كان رجلًا عاقلًا لا مثل له في صناعته، يعد أوحد زمانه في الطب، ولا يقصّر عن متقدميه من أهله، وقد روى القفطي بعض المواقف التي

---

(٢) ورد بعده: «ذكره ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في كتابه، وقال: وفي ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثلاثمائة مات أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون الحراني المنطقي» ـ علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، *تاريخ الحكماء أو إخبار العلماء بأخبار الحكماء* (ليبزج، ١٩٠٣م)، ص ٧٦؛ وانظر: كرنكو، مادة «الصابي»، *دائرة المعارف الإسلامية*، ترجمة أحمد الشنتناوي (طهران: بوذر جمهري، انتشارات جهان، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، مج ١٤، ص ص ٨٣ ـ ٨٩.

(٣) أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م)، ص ٣٠٧.

(٤) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم، *الفهرست* (بيروت: خياط، ١٩٦٤م)، ص ٣٠٣؛ وانظر: القفطي، *تاريخ الحكماء*، ص ١١١.

أثبت فيها ثابت تفوقه على نظرائه من أطباء عصره، من ذلك أنه أشرف على علاج ابن بقية وزير عزّ الدولة بختيار، وقد هجمت عليه علة شديدة، جعلت الأطباء إلى اليأس منه أقرب منهم إلى الرجاء له، ولما وفّق في علاجه خلع عز الدولة عليه وأعطاه مالاً جزيلاً، وكذلك فعل ابن بقية به، وروى القفطي أيضًا أنه لما وافى عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٤هـ سأل وزيره أبا منصور نصر بن هارون عن أحذق طبيب ببغداد فأشير عليه بثابت، فطلب منه أن يحضر دار عضد الدولة ويتأمل حاله وما يدبر به أمره، ويقال إن ثابتًا حذر خلصاء عضد الدولة من مغبة إفراطه في السهر والاجتهاد في تدبير الملك وكثرة الأكل والشرب . . . لأن ذلك كله يوصل إلى فساد العقل، وقد تصادف أن صحّت توقعات ثابت هذه، كما صحّت له أيضًا توقعات مماثلة مع آخرين من مشاهير زمانه من مثل: أبي عبدالله بن الحجاج الشاعر وأبي العباس بن المنجم، والمحسن بن إبراهيم الصابي.⁽⁵⁾

أما هلال — عم أبي الخطاب — فقد وصفه القفطي بأنه نزيل بغداد، وأنه كان «طبيبًا حاذقًا عاقلاً صالح العلاج متفننًا، خدم الناس بصناعته، وتقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم بصناعته.»⁽٦⁾

وأما ابن عمه إبراهيم، فأشهر من أن يعرّف، فهو أحد البلغاء المعروفين بالبراعة والإبداع في الكتابات الأدبية والتاريخية والعلمية، لا يقل شأنًا وأثرًا عن معاصريه: ابن العميد وابن عباد وعبدالعزيز بن يوسف وغيرهم.

---

(٥) القفطي، *تاريخ الحكماء*، ص ص ١١١ ـ ١١٥؛ وابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص ص ٣٠٧ ـ ٣١١؛ وأبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي المعروف بابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، ط ٢ (بيروت: الكاثوليكية، ١٩٥٨م)، ص ص ١٧٣ ـ ١٧٤. وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال وقت وفاة عمه في الحبس فكتب إلى الوزير أبي الريان حمد بن محمد يسأله الإنعام عليه والتقدم بحلّ قيده وإخراجه مع الموكل به، بمقدار ما يصلّي على جنازته ويواريه في حفرته، وفي هذه الرسالة فخر بها لأهل بيته من حرمة وخدمة، وفيها أيضًا شكوى لما ألحّ عليهم من شقاوة وبأساء ـ أبو إسحاق الصابي، *رسائل أبي إسحاق الصابي* (القاهرة: مخطوط الجامع الأزهر، رقم ٧١٥٦ أباظة، ص ١٠٦ أ؛ ومخطوط مكتبة ليدن، تحت رقم ٧٦٦، ص ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٦) القفطي، *تاريخ الحكماء*، ص ٣٥٠؛ وانظر: ابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، ص ١٦٧.

ويبين من الأخبار المتبقية عن أبي الخطاب المفضل بن ثابت أنه عمل في دواوين البويهيين منذ وقت مبكر، فقد ذكر التوحيدي أن أبا محمد المهلبي (ت ٣٥٢هـ)(٧) كاتب معزّ الدولة أحمد بن بويه (ت ٣٥٦هـ) ووزيره، كان ممن عرف الاصطناع واستحلى الصنائع وارتاح للذكر الطيب . . . فإنه قدّم قومًا، ونوّه بهم، ونبّه على فضلهم، وأحوج الناظرين في أمر الملك إليهم وإلى كفايتهم منهم: أبو الخطاب وأبو إسحاق الصابئان، ومنهم أيضًا: أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، وابن معروف القاضي، وأبو العلاء صاعد، وأبو تمام الزينبي، وابن قريعة، وأبو سعيد السيرافي، وأبو محمد الفارسي، وابن درستويه، وابن البقال، والسريّ الرفاء وغيرهم.(٨)

ويبدو أن أبا الخطاب قد عمل كاتبًا في دواوين الأمراء وكبار العمال، فقد أورد الثعالبي له سطورًا وصفية كتبها عن حبشيّ بن معزّ الدولة،(٩) كما أورد له الحصريّ أيضًا

---

(٧) هو الحسن بن محمد بن عبدالله بن هارون، من ولد المهلب بن أبي صفرة، تقلّد الوزارة سنة ٣٣٩هـ بعد الصيمري، فبقي فيها إلى أن توفي، وكان رجلًا جامعًا لخلال الرئاسة، ذا همة وحسن تدبير، آخذًا من الآداب بحظ وافر - ترجمته في الثعالبي، *يتيمة الدهر*، مج ٢، ص ص ٢٢٤ - ٢٤١؛ ياقوت الحموي، *معجم الأدباء* (القاهرة: ط دار المأمون، الحلبي، ١٩٣٨م)، مج ٩، ص ص ١١٨ - ١٥٢؛ أحمد بن محمد بن خلكان، *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: صادر، ١٩٧٢م)، مج٢، ص ص ١٢٤-١٢٧؛ محمد بن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: صادر، ١٩٧٣م)، مج ١، ص ص ٣٥٣ - ٣٥٧؛ محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء* (القاهرة: مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٢١٩٥ ح)، مج ١٠، ص ١٩٥.

(٨) التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، مج ٣، ص ٢١٣.

(٩) هو أبو حرب حبشي (وهو عند مسكويه والهمداني: الحبشي) بن معز الدولة أبي الحسين أحمد، الملقب بسند الدولة - انظر في ذلك رسالة كتبها أبو إسحاق الصابي إليه عن أخيه عز الدولة، لما توفي أبوهما سنة ٣٥٦هـ - أبو إسحاق الصابي، *رسائله*، ص ٤٢ ب. وفي أخبار سنة ٣٥٧هـ — وقد فصل مسكويه القول فيها — أن الحبشي أظهر عصيان أخيه عز الدولة، وطمع في البصرة، والتفرد بها، ولكن الوزير أبا الفضل الشيزاري ظفر به وأخذ من أمواله بالبصرة شيئًا كثيرًا، ومن جملة ما أخذه خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء والمسرّس وغير المجلّد، ثم أمّنه الوزير وأنفذه إلى عمه ركن الدولة، فأقام عنده إلى أن توفي الحبشي سنة ٣٦٩هـ - أحمد بن محمد المعروف بمسكوية، *تجارب الأمم* (القاهرة: التمدن الصناعية، ١٩١٥م)، مج ٢، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٧؛ ومحمد بن عبدالملك =

ممازحة كتبها عن أبي العباس بن سابور،(١٠) وهو — على الأرجح — أحد عمّال الدولة في ذلك العصر.

ويبين من أخبار أبي الخطاب كذلك أنه كان من ندماء عزّ الدولة بن معزّ الدولة(١١) وجلسائه الأثيرين،(١٢) يعزز ذلك أن الثعالبي نسب إلى أبي الخطاب فصلاً من رسالة هزلية فكهة كتبها إليه على سبيل الممازحة.(١٣)

ويصعب على الباحث أن يعرف بدقة متى ولد أبو الخطاب، ولكنه قد يرجح مولده في العقد الأول أو الثاني من القرن الرابع، ربما ليجعله ندًّا لابن عمه أبي إسحاق المولود في سنة **٣١٣**هـ، وليتّسق بذلك مع ما ذكر من أنهما عملا سويًّا في دواوين المهلبي، الذي تولى الوزارة سنة **٣٣٩**هـ.

ومن المؤكد أنه توفي — في سنة يصعب تحديدها أيضًا — قبل وفاة أبيه سنة **٣٦٩**هـ، بل قبل وفاة عزّ الدولة سنة **٣٦٧**هـ، يدل على ذلك رسالة تعزية كتبها أبو إسحاق الصابي ارتجالاً في دار عزّ الدولة بواسط، إلى عمه ثابت، يعزيه عن ابنه أبي الخطاب، يقول فيها:(١٤) عزيز عليّ يا سيدي أن مدّ لك ولي في العمر حتى نتكاتب بالتعزية عمّن أمّلنا أن يكون =

الهمداني، *التكملة* (ضمن *ذيول تاريخ الطبري*)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م)، ص ص ٤١٤ - ٤١٥؛ علي بن محمد بن الأثير، *الكامل في التاريخ* (القاهرة: المنيرية، ١٣٥٣هـ)، مج ٧، ص ص ٢٦ - ٢٧.

(١٠) الحصري، *زهر الآداب*، مج ١، ص ٥٤٧؛ والحصري، *جمع الجواهر*، ص ٣٥٣.

(١١) حكم العراق بعد أبيه سنة ٣٥٦هـ إلى أن قتله ابن عمه عضدالدولة سنة ٣٦٧هـ.

(١٢) عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي، *سر الفصاحة*، نشر عبدالمتعال الصعيدي (القاهرة: مطبعة صبيح للطباعة والنشر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص ص ١٦٠ - ١٦١؛ والقرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٩١.

(١٣) الثعالبي، *ثمار القلوب*، ص ٥٥.

(١٤) انظر: رسائل أبي إسحاق الصابي، ص ٢٩ ب. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن لأبي إسحاق رسالة تعزية أخرى كتبها إلى يحيى وهلال ابني قرة الصابئين، تعزية عن ولد يحيى، وكان =

وارث أعمارنا، والباقي بعدنا: أبي الخطاب. . . والله الشاهد أنني منذ ثلاث لا أطعم غذاءً ولا غمضا، ولا أعرف قرارًا ولا هدوا، ولقد دخل إليّ المعزّون فما خاطبت أكثرهم، ولا عقلت بطوائف منهم، لاستيلاء ما استولى عليّ، مما أبكى عيني، ونكأ قلبي . . . وكان من مولانا الأمير عند معرفته بالحال في إنفاذ الرسل تباعًا إليّ، والتفضل بالتعزية عليّ، وفي ذكرك بالتحنّن عليك، والتوجّع لك، ما يشبه كرمه ونعمة الله عنده وعندنا فيه . . .

والمرجح أن أبا الخطاب ظلّ صابئًا متمسّكًا بما يدين به طيلة حياته، شأنه في ذلك شأن آبائه وبعض جيله، وقد رُوي أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوا ابن عمه كثيرًا على الإسلام، ووعدوه ومنّوه، حتى إن عزّ الدولة عرض عليه الوزارة إن أسلم، فلم يهده الله — تعالى — للإسلام، كما هداه لمحاسن الكلام.(١٥)

والصابئة فرق كثيرة، اضطربت المصادر في الحديث عنها وعن سبب تسميتها بهذا الاسم، وذهبت في تفسيرها مذاهب شتى، يصعب الفصل فيها بين الحقيقة والخرافة، غير أن الفرقة التي ينتمي إليها أبو الخطاب وآله، هم الصابئة الحرّانية (أو الحرنانية) نسبة إلى مدينة حرّان،(١٦) ويقال إنهم تسمّوا بالصابئة سنة ٢٢٨هـ، لتُرعى لهم الذمّة، ويعدّوا في

ذلك في أثر المصاب بأبي الخطاب يقول فيها أبو إسحاق متحدثًا عن صابئة عصره: «إننا أهل شريعة قد ضاقت حلقتها وخمدت جمرتها» *انظر المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي*، القسم الثاني، ص ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣. وأخرى عنوانها: «وكتب إلى أبي عبدالله عامل دير العاقول في أمر ورثة أبي الخطاب»، مخطوط ليدن، ص ص ٩٤ ـ ٩٦.

(١٥) الثعالبي، يتيمة *الدهر*، مج ٢، ص ٢٤٢؛ الحموي، معجم *الأدباء*، مج ٢، ص ٢١.

(١٦) تذكر بعض المصادر أن الصابئة يوحّدون الله وينزّهونه، ويصفونه بالسلب لا الإيجاب، ويصلون صلوات ثلاثًا مكتوبات، ويذهبون إلى أن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدّسًا نتقرب إليه بالمتوسطات المقرّبين لديه، وهم الروحانيون المطهّرون جوهرًا وفعلاً وحالة، وأكثر أحكام الصابئة في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين، ولهم كتاب يقرّون به، وهو مقالات لهرمس في التوحيد، وآخر سرياني فيه أمر مذاهبهم وصلواتهم. ويذكر بعض المحدثين أن الصابئة فرقة دينية تتأرجح بين اليهودية والمسيحية، وأنهم من أتباع سيدنا يحيى، وهو يوحنا المعمداني عند المسيحيين ـ انظر: علي بن الحسين المسعودي، *التنبيه والإشراف* (القاهرة: الصاوي، ١٩٣٨م)، ص ١٣٨؛ =

جملة من تؤخذ منهم الجزية.(١٧)

ومن الثابت — لدى مؤرخي الأدب القدامى والمحدثين — أن هذه الديانة بما تتضمن من آراء وأفكار، لم تكن ذات تأثير كبير أو قليل، فيما وصل إلينا من آثار الصابئة النثرية والشعرية، المكتوبة بالعربية باستثناء بعض الإشارات إلى صلواتهم وصيامهم وبعض طقوسهم الدينية الأخرى، وردت في ثنايا رسائلهم المتبادلة فيما بينهم، والتي حفظت لنا رسائل أبي إسحاق الصابي قدرًا لا يستهان به منها.

وثقافة أبي الخطاب هي حتمًا ثقافة كل كاتب يطمح إلى العمل في الدواوين وإلى الضرب في آفاق الكتابة على تعدد فنونها، هذه الثقافة — كما حدّدها القدماء — واسعة محيطة تشمل كل ما يمكن معرفته من علوم العصر وآدابه، فمن البدهي أن يتقنها أبو الخطاب جميعها أو كثيرًا منها، وبخاصة العلوم الإسلامية والعربية، فضلاً عن العلوم الطبية التي برع فيها آباؤه، ويشير ابن سنان الخفاجي إلى بعض ذلك في خبر روى فيه أن عزّ الدولة بختيار قال لندمائه وكتّابه: «لينشدني كل واحد منكم أغزل ما يعرف من الشعر»(١٨) فأنشد

محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، *الملل والنحل* (القاهرة: مخيمر، ١٩٦٥م)، القسم الثاني، ص ص ٧، ٦٠، ٢١٠؛ أبو عبدالله محمد الدمشقي، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر* (ليبزج: د. ن.، ١٩٢٣م)، ص ص ٣٩ - ١١٩؛ النويري، *نهاية الأرب*، مج ١، ص ٥٧؛ السيد محمد عبدالرزاق الحسيني، *الصابئة في حاضرهم وماضيهم*، ط ٢ (صيدا: العرفان، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، ص ص ٢٢، ٢٩ - ٣٢، ٥٥، ٨٨؛ حسن ظاظا، *الساميون ولغاتهم* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ص ص ١١٧، ١١٨؛ كارّا ده فو، «الصابئة» دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، ج ١٤، ص ص ٨٩ - ٩٢؛ وانظر
E.S. Drower, *The Mandaeans of Iraq and Iran* (London: Oxford, 1937); M.N. Siouffi, Etudes, sur la Religion des Soubbas (Paris, 1880); Daniel Chwolson, *Die Sabier und der Sabismus* (St. Petersburg, 1985).

(١٧) محمد بن أحمد البيروني، *الآثار الباقية عن القرون الخالية*، تحقيق س. إدوارد سخاو (ليبزج، ١٩٢٣م)، ص ٣١٨؛ وانظر: ابن النديم، *الفهرست*، ص ٣٢٠؛ ومحمد بن أحمد الخوارزمي، *مفاتيح العلوم* (القاهرة: المنيرية، ١٣٤٢هـ)، ص ٢٥.

(١٨) كان عز الدولة من ملوك بني بويه الذين نسبت إليهم *اليتيمة* أشعارًا، وقد رواها له القاضي ابن قريعة وأبو جعفر الطبري الطبيب، ولكن الثعالبي يقول: «لم أسمع له شعرًا»، الثعالبي، *يتيمة الدهر*، مج ٢، ص ٢١٩.

كلٌّ منهم ما حضره، فلما انتهى القول إلى أبي الخطاب — وكان أبوه طبيبًا — أنشد قول أبي العتاهية: (١٩)

قَال لي أحمدُ ولم يَدْرِ مابي أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثم قُلْتُ: نَعَمْ، حبّا (م) جَرَى في العروق عِرْقًا فعِرْقا

فقال له بختيار: «لا تخرجُ(٢٠) بنا يا أبا الخطاب عن صناعة الطب التي لم تَرِثْها عن كلالة.»(٢١)

وقد ورد هذا الخبر في معرض الحديث عن أن الإنسان ينبغي «ألا يخلط فنًّا بفن، بل يستعمل في كلّ صناعة ما يخصّها ويليق بها، ولا يشاب بها ما ليس منها.» ولكن الذي يبدو من الخبر — وهو وجه قويّ صحيح — أن عزّ الدولة يريد أن يقول إن أبا الخطاب مزج بين الثقافتين: الشعرية والطبية أو أن الأخيرة لونت اختياراته وتحكمت في ذوقه حين أنشد بيتي أبي العتاهية.

ومن المعروف أن آل زهرون وأنسباءهم آل قرة — وهم جميعًا من صابئة حران الذين قدموا بغداد في صدر الدولة العباسية — كانوا ذوي أثر كبير في شتّى ألوان الثقافات والعلوم كالطب والصيدلة والحساب والهندسة والفلك والتاريخ والأدب، وكانوا يورثون أبناءهم هذه العلوم والصناعات، ويحرصون على تلقينهم إياها وتثقيفهم بها، يدل على ذلك من بعض الوجوه قول أبي إسحاق الصابي: «كان والدي أبو الحسن يُلزمني في الحداثة والصبا قراءة كتب الطب والتحلّي بصناعته، وينهاني عن التعرض لغير ذلك فقويت فيها قوة

---

(١٩) انظر: أبو العتاهية، *أشعاره وأخباره*، تحقيق شكري فيصل (دمشق: جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص ٦٠.

(٢٠) كذا وردت العبارة وتقتضي استقامة المعنى قراءتها بالأسلوب التقريري، وإلا فهي محرّفة، والأصل فيها: «لم تخرج».

(٢١) ابن سنان الخفاجي، *سر الفصاحة*، ص ص ١٦٠ - ١٦١؛ والقرطاجني، *منهاج البلغاء*، ص ١٩١؛ وتقول العرب: «لم يرثه كلالة» أي لم يرثه عن عَرَض، بل عن قرب واستحقاق، وقالوا: «هو ابن عم كلالة» أي بعيد النسب.

شديدة. . . »^(٢٢) ولكنه صدف عن الطب، وغلبه الأدب والكتابة، وأغلب الظن أن أبا الخطاب قد نسج على منوال ابن عمه في النشأة والتثقيف والميل إلى الأدب والبلاغة.

وقد غصّ القرن الرابع بالمتفلسفة والرياضيين والفلكيين والأدباء من مختلف الأجناس والمشارب والعقائد، وكانت لهم مجالس علمية مشهورة يعقدونها في أماكن شتّى، كدور بعض الوزراء أو أسواق الوراقين، يديرون فيها مناقشات رفيعة، تتصل معظم موضوعاتها ومسائلها بالفلسفة، ويظهر أبو الخطاب في مقابسات التوحيدي مشاركًا هؤلاء العلماء - إن لم يكن متقنًا لما عندهم من ثقافات أو ملمًا بها — في محاوراتهم وما يختصمون فيه. ومن ذلك ما ورد من حديث أبي إسحاق وتساؤلات أبي الخطاب عن الطبيعة وعملها في الناس وما تؤدي إليه من اختلافهم في المذاهب والآراء، قال التوحيدي: «سمعت أبا إسحاق الصابي الكاتب يقول لأبي الخطاب الصابي: أعلم أن المذاهب والمقالات والنحل والآراء وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه كدائرة في العقل. . . قال أبو الخطاب: هل للخواطر والألفاظ والآراء والمقالات نسبة إلى المزاج والطينة والهواء وإلى العناصر بالجملة؟ فقال: نعم لها نسبة قوية وعلاقة شديدة ورباط متين. . . . »^(٢٣) ويستظهر من هذا النص أن أبا الخطاب كان يقف أمام أبي إسحاق موقف التلميذ المتسائل المتشوف إلى المعرفة، ممن هم أعلم منه.

وذكر التوحيدي في مقابسة أخرى أنه روى لأبي سليمان السجستاني يومًا كلامًا لبعض الصوفية فلم يَفْكَهْ — أي لم تطب نفسه — له، ولم يهشّ عنده، وقال: «لو قلت أنا في هذه الطريقة شيئًا لقلت: الحواس مهالك والأوهام مسالك. . الخ «فقال له أبو الخطاب الكاتب: «أيها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما يسمع منهم فلو زدتنا منه.» فقال: «الحواس مضلّة، والأوهام مزلّة. . . . »^(٢٤)

---

(٢٢) الحموي، *معجم الأدباء*، مج ٢، ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٣) التوحيدي، *المقابسات*، المقابسة الحادية عشرة، ص ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢٤) التوحيدي، *المقابسات*، المقابسة الخامسة والتسعون، ص ٣٢٦.

وكان أبو الخطاب طرفًا في الخصومة بين السري الرفاء الشاعر والخالديين الشاعرين،(٢٥) وكانا كفرسي رهان في قوة الذكاء وسرعة النظم وجودته، يتشاركان في القصيدة الواحدة، ومع ذلك قيل عنهما إنهما كانا إذا استحسنا شيئًا غصباه صاحبه حيًّا كان أو ميتًا، لا عجزًا منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما، ولهذا السبب هجاهما السريّ، ففي ديوانه قصيدة قالها «وكان سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد، قبل وفاة الوزير المهلبي (ت ٣٥٢ هـ) يهجوهما، ويذكر إغارتهما على شعره، وخاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الصابي هو صديقهما ويعرّض برجل من الكتاب يتعصّب لهما عليه،» وهي قصيدة طويلة، عِدَتُها سبعة وسبعون بيتًا، أولها:(٢٦)

بَكَرَتْ عَلَيْكَ مُغِيرةُ الأَعْرابِ فاحْفَظْ ثِيابَكَ يا أبا الخَطّابِ
وَرَدَ العِراقَ رَبيعَةُ بنُ مكدّمٍ وعُتَيْبَةُ بنُ الحارثِ بن شِهابِ
أفَعِنْدكُمْ شَكٌّ بأنّهما هما في الفَتْكِ لا في صِحَّةِ الأنسابِ

---

(٢٥) السرّي بن أحمد بن السري الكندي المعروف بالرفاء، شاعر من أهل الموصل، مدح سيف الدولة بحلب، وأقام عنده مدة، توفي سنة ٣٦٦هـ ـ ترجمته في الثّعالبي، يتيمة *الدهر*، مج ٢، ص ص ١١٧ ـ ١٨٢؛ والحموي، معجم *الأدباء*، مج ١١، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٩.

أما الخالديان فهما الأخوان الشاعران الموصليان: أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وهو الأكبر، وأبو عثمان سعيد (ت ٤٠٠هـ) ابنا هاشم بن وعلة بن عثمان، ينتهي نسبهما إلى عبدالقيس، والخالدية قرية من قرى الموصل، وكانا خازني كتب سيف الدولة ومن خواص شعرائه، وقد اختارا من الدواوين كثيرًا، وجمعا مجاميع أدبية ـ ترجمتها في الثعالبي، يتيمة *الدهر*، مج ٢، ص ص ١٨٣ ـ ٢٨٠؛ الحموي، معجم *الأدباء*، مج ١١، ص ص ٢٠٨ ـ ٢١٢؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، مج ١٠، ص ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥؛ الكتبي، *فوات الوفيات*، مج ٢، ص ص ٥٢ ـ ٥٧؛ مج ٤، ص ٥٢.

(٢٦) *ديوان السري الرفاء*، ص ص ٤١ ـ ٤٤ ورد منها ستة وثلاثون بيتًا في يتيمة *الدهر*، مج ٢، ص ١٤٥؛ وانظر: العباسي، *معاهد التنصيص*، مج ٤، ص ص ١١ ـ ١٣؛ أحمد الشريشي، *شرح مقامات الحريري*، تصحيح محمد عبدالمنعم خفاجي (القاهرة: عبدالحميد أحمد حنفي، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، مج ٢، ص٢١١، وتجدر الإشارة إلى أن لأبي إسحاق الصابي رسالة إلى الخالديين يعاتبهما لأنهما ظنّا أنه ساعد السريّ على عداوتهما ورضي بطعنه عليهما ـ أبو إسحاق الصابي، *المختار من رسائله*، القسم الثاني، ص ص ٣٨٥ ـ ٣٨٨.

جَلَبَا إليك الشِّعْرَ من أوْطَانِه   جَلْبَ التّجَار طَرَائفَ الأجْلاب
فبدائعُ الشعراءِ فيما جَهَّزُوا   مَقْرُونَةٌ بغَرائِبِ الكُتَّاب
شَنّا على الآداب أقْبَحَ غَارَةٍ   جَرَحَتْ قُلُوبَ مَحَاسِنَ الآداب
فحذارِ من حركاتِ صِلٍّ قَفْرَةٍ   وحذار من حَرَكَاتِ لَيْثِ غاب

وآخرها:

لولا أبو الخطّاب طابَ تَنَكُّري   لِلْخَطْبِ يَظْلِمُني وَسَاءَ خِطَابي
وَهَبَتْ شَمَائِلُهُ الجَزِيلَ وَأبْرَأتْ   يُمْنَاهُ من نَدَبِ الزَّمانِ إهَابي
وَكَفَاكَ أنَّ الدَّهْرَ أعْتَبَنِي بِهِ   فَكُفِيتُ عَتْبِي عِنْدَه وَعِتَابي

وعن أخلاق الرّجل يمكن القول إنه من أصحاب الفضل والمزايا التي تجعل الرؤساء يقرّبونه ويصطفونه، يقول التوحيدي — إن صحّ أنه يعني بروايته المترجَم له — إنه قد كان بين أبي الخطاب وبين أبي كعب الداهية التي لا تُرام،(٢٧) بعد صداقة كانت زائدة على شُبكة الرحم ولُحمة النسب،(٢٨) فقيل له — أعني أبا الخطاب — كيف أنت مع أبي كعب؟(٢٩) فأنشد:

خَلِيلان مُخْتَلِفٌ شَأْنُنَا   أُرِيدُ العلاءَ وَيَبْغِي السِّمَنْ(٣٠)

هو — حقًّا — ممن يريدون العلاء، سواء كان المقصود بهذه الرواية أبا الخطاب الصابي أو غيره، يدل على ذلك من بعض الوجوه طبيعة عصره المتطلّعة المشغوفة بالعلوم والآداب، كما يدل عليها طبيعة عمله في الدواوين، التي تتيح له مجالات التنافس والتفوق في ألوان الكتابات الرسمية والإخوانية.

---

(٢٧) كذا ـ والداهية: الأمر المنكر العظيم، لا تُرام: لا تطلب.

(٢٨) الشُّبكة ـ بضم الشين وحكاها بعضهم بفتحها ـ واللُّحمة والنَّسب: كله بمعنى القرابة، يقال: «بينهم شبكة رحم.»

(٢٩) لم أهتد إلى ذكر له في المصادر التي اطّلعت عليها.

(٣٠) البيت غير منسوب، وانظر الخبر كله في التوحيدي، *رسالة الصداقة والصديق*، ص ص ٨٨ ـ ٨٩.

ولكن، هل ثمة منافسة قامت بينه وبين ابن عمه الأشهر أبي إسحاق؟ هذا تساؤل مُغر، ولكن المصادر لا تسعفنا بأية إشارات واضحة عن طبيعة العلاقة بين الرجلين.

وإذا افترض الباحث وجود منافسةٍ ما بينهما، فربما يرجّح أن مبعث هذه المنافسة هو الصراع على السلطة والمنصب والجاه، بالقربة والزلفى عند الساسة والكبراء، أو على التفوق والإجادة والتصرف في أفانين الكتابة الديوانية وغير الديوانية، ولن يعدم قارىء الفصول المتبقية من نثر أبي الخطاب وجود مشابهة قوية بينه وبين أبي إسحاق سواء في الشكل الذي ارتضاه كلّ منهما وعاء لكتاباته، أو في الموضوعات التي عرضا لها وأبدعا فيها.

من ذلك — على سبيل المثال — أن الفصل الذي نسبه الثعالبي إلى أبي الخطاب، في وصف النَّهِم الأكول، وهو: «وأمره أن يتخيّر من أطايب ما يقرّب إليه، ولا يتعذّر هضمه، ولا يبطىء استمراؤه، وأن يعتمد صدور الدجاج، وخواصر الحملان، ويتجنّب شحوم الكلى، فإنها تمنع من الإمعان، وأن يحاكي حوت يونس في جودة الالتقام، وثعبان موسى في سرعة الالتهام، ويبادر الطرف باستراطه، ويسبق النفس بازدراده.»(٣١)

هذا الفصل يشبه تمامًا عهد التطفيل الذي كتبه أبو إسحاق الصابي، وكأنه فصل من فصوله، ويلحظ القارىء أن الصابئين كتبا ما كتباه لعز الدولة بختيار، وقصة العهد الذي كتبه أبو إسحاق رواها الخطيب البغدادي قال: «حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي، قال: كان في نقباء الأمير بختيار المعروف بعز الدولة رجل يسمى (عُلَيكا) وكان كثير التطفيل على جميع أهل العسكر من الحجاب والقواد والكتاب ووجوه الخاصة والغلمان، وشاع ذلك له عند بختيار، فرسم له أن يستخلف على التطفيل خليفة، وتقدم إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب أن يكتب بذلك عهدًا لابن عرس الموصلي عن عليكا، وأن يجعله خليفة على التطفيل فكتب له على طريق الهزل عهدًا قرأه أبو إسحاق علينا، فكان نسخته . . . »(٣٢)

---

(٣١) الثعالبي، *ثمار القلوب*، ص ٥٥، وانظر النص السابع من نصوص أبي الخطاب.

(٣٢) أحمد بن علي الخطيب البغدادي، *التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم* (دمشق: التوفيق، ١٣٤٦هـ)، ص ٩٩.

ومن الثابت أن العلاقة بين الرجلين — لفترات من الزمن قليلة أو كثيرة — لم تكن تتسم بالمودّة الخالصة، ففي رسائل أبي إسحاق معاتبة بليغة كتبها إلى ابن عمه يهاجمه فيها هجومًا موجعًا ويتهمه بالإهمال والتغاضي وإهدار حقوق المودة والقرابة، يقول:(٣٣)

. . . كيف وأنت بمنزلة الحالف الذي يخاف الحِنْث، ألا تُجيبني عن رُقعة، ولا تُطالعني بمُهمّة، ولا تتذكّرني عن وحشة ولا تترثّى لي من ضُغطة وكُربة؟

فإن كان هذا شيئًا تقودك إليه سلوةٌ عني، وجَفوةٌ لي فما أستحقهما منك ولا أتيتُ ما يقتضي كونَهما لي عندك، وإن كان عن توانٍ تذهب فيه على سَجيّة وخَليقة، فما أحوجَ محاسنك إلى أن تهذّبها، وتُزحزح هذه القذَاةَ عن جِوارها!

وأنا أتركُ الإغراق في هذا القول لجهات: منها كراهية الغَلَط في استعتابك، ومنها أن يظنّ بي من لم يعرف المتقدّم من أمثاله أنني وقفت وقوف المكتفي، وأمسكت إمساك المجتري، فتحسن القِصّة في عينه، ومنها أن تتصوّر أنت — أدام الله عزك — أنه اقتصادُ من يرى أن الإطناب لا ينفعه فيكون ذلك أحثّ على التلافي، وأنهى عن التجافي.

أما تراني — جعلني الله فداءك — وأملاكي مأخوذة، وطُعَمِي مأكولة، ومنافعي محسومة، ومضارّي معتمدة، والألسن بما أكره منطلِقة، وعما أحبّ معتقِلة، وزادي غير مُبلّغ، ومُسْكَتي غير لابثة، وحالي مضمحلّة، وعزيمتي مترجحة، وأعلام الصواب عليّ دارسة، وأبوابه دوني مغلقة، ومناهجه كيف طلبتُها وتحرّيتها طامسة مشتبهة، والمُحْسِن المُجْمِل من كان مثلك لا يقول هُجْرًا ولا يعتمد قبيحًا، ولا يُسعف برأي يُرشِد، ولا سعي يُقصَد، ولا يكون منه إلا الجواب الواحد بعد الأيام المتطاوِلة عن الرِّقاع الكثيرة، ولا يتعلّق عليه ولا منه بشُعْبَة من يأسٍ مُريح، ولا اجتهاد صحيح.

وإذا كان أَحْنَى الناسِ عليّ هذا نعته، وأغلظُهم ذاك وصفه، فهل أَجدُ بينهما من أتّخِذُه مُعَوّلا، وأسمّيه مَعْقِلاً؟ وهل ها هنا إلا رفعُ الطّمع عن المخلوقين قاطبة، وصرفُ الأمل إلى من لا

---

(٣٣) أبو إسحاق الصابي، *المختار من رسائله*، القسم الثاني، ص ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

تُحْجَب عنه الظُّلامة، ولا تتأخّر منه الإدالة؟ وكذاك أفعل، وأعوذُ بالله أن يكون لي عنه مَعْدِل.

الآن — أيّدك الله — إن نشطت لأن تُجيبني عن تلك الرقعة السابقة وهذه الشافعة، وتُطلعني على ما لا أَجده عند غيرك من خير وحال وإيناس ورُشْد لي واتّساق مصلحةٍ تعود عليّ، ومحض رأي يؤدّي إلى راحتي، وانحسار النحوس عني، وانكشاف همومي وغمّي - أتيتَ في ذلك ما أنت أهلُه، وإلا فإن نقصانَ الاهتزاز بهذه الرقعة يُفْضي بي إلى نُجْح ما لي فيه راحة، وعليك قباحة، وأعيذك بالله من أن تَخْتارَ إلا الأحسن والأجمل والأشْبَهَ بك والأشْكَل.

وليس في هذه الرسالة ما يكشف عن ظروف كتابتها وتاريخها، ولكن فيها ما يدل على أنها كتبت وأبو إسحاق معتقل قد صودرت أملاكه، وهذه الاعتقالات كثيرة في حياته، أولها في سنة ٣٥٢هـ حين اعتقله معزّ الدولة مع من اعتقلهم عقب وفاة الوزير المهلبي، وثانيها في سنة ٣٥٩هـ بعد أن أَقْصى عزّ الدولة الوزير أبا الفضل الشيرازي وقبض على كتابه وأسبابه واستصفى أموالهم، وثالثها أيام وزارة ابن بقية ٣٦٢ - ٣٦٦هـ التي قال عنها أبو إسحاق «كنت فيها إما مستترًا وإما محبوسًا،» ورابعها بعد أن ملك عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٧هـ.(٣٤)

عنيفة تلك المحن التي واجهها أبو إسحاق، وهو في رسالته إلى ابن عمه يستصرخ ويستنجد، فهل كان ابن العم — وهو مُطْلَق مُخَلَّى عنه — متقاعسًا عن الإسعاف؟ أو أن الظروف السياسية والمؤامرات والفتن جعلته على مبعدة يؤثر السلامة؟ هذه الاستفسارات وغيرها لا سبيل إلى الإجابة عنها، ولكن الذي يحسّه قارىء هذه الرسالة أن أبا إسحاق يدرك أنه ابن العم الأكبر الجدير بالرعاية والتوقير، ولهذا اشتدّ في التعنيف ولجّ في العتاب.

وتكشف رسالة طويلة كتبها أبو إسحاق إلى ابنه أبي سعيد سنان بن إبراهيم عن نزاع شديد بين أبي إسحاق وأبي الخطاب، سببه خلاف حول عقار مساحته نيّف وعشرون جريبًا، استولى عليه أبو الخطاب، وقد بدأت الرسالة بقوله: وقفتُ على ما كتبتَ به — أنا

---

(٣٤) أبو إسحاق الصابي، *المختار من رسائله*، القسم الأول، ص ص ٢٢ - ٤٠.

أفديك — عن أبي الخطاب — أيده الله — في أمر الجُرْبان التي دخل فيها، وطال تعجّبي من مقامه على الإحالة على عمّي، ونسبه إلى اللَّجاج، ووعده إياك بأن يُكاتبني، ولعن الله عينًا أصابته، فما أبعد هذا القول من سائر ما عهدته وألفته منه! أما لجاج عمي فما بيني وبينه في الأمر معاملة فأقبل الإحالة عليه، ولو كانت لما خرج معي إلى اللجاج لأنني ما ماحكتهُ قط، ولا خالفتُه منذ أعرف نفسي، ولا ذهبتُ له عن طاعة، ولا دخلتُ له في معصية، ولا عدّني في وقت من الأوقات عاقًّا ولا مقصرًّا في إكرامه وإعظامه، وزيادته على ماكنت عليه لوالدي . . .

ثم يكشف أبو إسحاق عن جرم أبي الخطاب وإفساده وعقوقه، فيقول: . . . ولكن المعاملة إنما هي بيني وبين خدعك يا أبا سعيد — فديتك — وحسَّن لك مساعدته على الدخول في مساءتي، والتعلّق بما قد أفني عمري في الإرصاد له، والمراعاة لوقته، وترشيح الآمال في التمكّن منه، وأقام نفسه مقام المفسد المنغّص لعيشي، ونام على عتبي نوم المستهين به، المطرّح له، وأصرّ على عقوقي إصرار المستصغر له، ووزنني بالميزان الخفيف، وقوّمني بالثمن الطفيف، ورأى أن نيّفًا وعشرين جريبًا أعْوَد عليه مني، وأفضل في نفسه من خالصتي وودّي، ولم يراقب فيَّ حرمةً يرعاها، ولا رحمًا يصلها، ولا يذكر منّي يومًا صالحًا، ولا مقامًا محمودًا . . .

وتطفح الرسالة كلها بالمرارة الممضّة، والألم المضني، ذلك أن أبا إسحاق قد خاب ظنّه في ابن عمه بعد أن كان يعتدّه درعًا يقيه النوائب، يقول: والله العظيم يا بنيّ، لقد كنت أظنّ أنني إذا متُّ وخلفني أبو الخطاب — أيّده الله — لم أُعدّ في الموتى ببقائه، صيانةً لحريمي، وذبًّا عني، وحفظًا لغيبي، ورعايةً لولدي. وإن الذي جرى منه في هذا الوقت، لو جرى من غيره لما أعددتُ لدفعه إلا هو، ولا اعتضدتُ في منعه إلا به، فيا ليت شعري كيف ذهب هذا عنه! وهو شيء يعلم أن الناس يكرهونه، وأن القويّ يدفعه عن نفسه بقوّته، والضعيف بمن يعينه وينصره، وليتني خاصّة معه في أَدْوَن هاتين المنزلتين، وأحطّ من هاتين الطبقتين، لأنني لا أطاوله بقوة، ولا أجاوله باستعانة، ولا أقف عنده إلا موقف السائل له، الراغب إليه، المؤثر له، الصابر عليه . . . (٣٥)

* * *

---

(٣٥) *رسائل أبي إسحاق الصابي*، مخطوط ليدن، ص ص ١٩ ـ ٢٤، مخطوط الجامع الأزهر، ص ص ٦٥ أ ـ ٦٩ أ.

ويعرف مؤرخ الأدب باستقصاء يسير أن أبا الخطاب الصابي قد أخملت الأيام ذكره، ومحت آثاره أو كادت، لأسباب لا يتيّقن أحد من صحّتها، فربما كانت وفاته المبكرة سببًا، وربما كانت شهرة أبي إسحاق وغلبة موهبته سببًا، مع ما أتيح له من الأبناء والأحفاد — وهم مجموعة مشهورة يعرفها الدارسون — حفظت أخباره ودونت آثاره، وحرصت على أن تظهره كبير الأسرة الذي لا يُباريه مبارٍ، والذي ينبغي أن ينتهي إليه كل مجد وذكر.(٣٦)

ومن الغريب ألا يرد لأبي الخطاب ذكر في فهرست ابن النديم، ومن اللافت ألا يترجم له الثعالبي في يتيمته مع أنه في كتابه *سحر البلاغة وسر البراعة* أورد أسماء من عوّل على كتاباتهم النثرية، فقال: «وهذا ثبت أسماء بلغاء العصر الذين أخرجت معظم الكتاب من غرر نثرهم، فمن أهل الشام: أبو الفرج الببغاء وأبو محمد الفياض، ومن أهل العراق: أبو محمد المهلبي الوزير وأبو إسحاق الصابي وابن عمه أبو الخطاب. . . .»(٣٧)

---

(٣٦) كان ابنه أبو علي المحسّن أديبًا فاضلاً بارعًا لقي الأدباء والعلماء وأخذ عنهم، توفي سنة ٤٠١هـ على دين أبيه ـ انظر ترجمته في الحموي، *معجم الأدباء*، مج ١٧، ص ص ٨١ ـ ٨٦.
وكان حفيده هلال (٣٥٩ ـ ٤٤٨هـ) أعلى منزلة من أبيه المحسن، وهو أديب كاتب فاضل، له معرفة بالعربية واللغة، وقد أسلم في آخر عمره وحَسُن إسلامه، وصفه الخطيب البغدادي بأنه ثقة صدوق، ولهلال مصنفات كثيرة، وكان ابنه غرسي النعمة محمد ذا فضائل جمّة وتواليف متنوعة ـ انظر عن هلال وابنه: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد* (القاهرة: السعادة، ١٩٣١م)، مج ١٤، ص ٧٦؛ والحموي، *معجم الأدباء*، مج ١٩، ص ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧.
ومن الجدير بالذكر أن حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، *محاضرات الأدباء* (القاهرة، الشرفية، ١٣٢٦هـ)، مج ١، ص ٥٢ نسب إلى من اسمه: «أبو الفياض الصابىء» قوله في الصاحب بن عباد:

أَقَالَ الله للأقْدَارِ سِيري وفي أقْلَامِ إسماعيلَ صِيري

وربما يصادف قارىء كتب التراجم المتأخرة ترجمات لبعض أحفاد هؤلاء الصابئة تدل على أنهم ظلوا قرونًا متعاقبة يشتغلون بالأدب والعلم ـ انظر على سبيل المثال ترجمة محمد بن إسحاق بن أبي الحسن محمد بن أبي نصر إسحاق بن غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابي، المتوفى سنة ٦١٩هـ في: خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، اعتناء س. ديدرينغ (استانبول: وزارة المعارف، ١٩٤٩م)، مج ٢، ص ١٩٩.

(٣٧) الثعالبي، *سحر البلاغة*، ص ٧ والملحوظ أن الثعالبي لم ينسب معظم مختاراته النثرية في هذا المؤلف إلى قائليها، ولكن المحققين الآن يمكنهم ردّ كثير منها إلى أصحابها بعد أن تيسرت الوسائل، =

وقد حظي أبو الخطاب ببعض عناية الثعالبي في مؤلفاته الأخرى، فروى نُبذًا قصيرة من نثره في: *برد الأكباد* و*خاص الخاص* و*ثمار القلوب*، واحتفظ الحصري له بقطعة نثرية فريدة في بابها، كما أورد له القلقشندي في كتابه الجامع *صبح الأعشى* ثلاث قطع ثمينة من رسائله،(٣٨) تدل على أن كتابات الرجل ظلت متداولة معروفة إلى القرن الثامن الهجري على الأقل، ولكن ليس ثمة إشارة إلى أن له ديوانًا مجموعًا أو مؤلفًا متميزًا.

* * *

خصائص موضوعية وفنية

الشفاعات نوع من أنواع المكاتبات الإخوانية الرقيقة الجليلة، لأنها — كما يقول القلقشندي — تصدر عن ذوي الرتب والأخطار والمنازل والأقدار، الذين يُتوسّل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب، لذا يحسن فيها الإيجاز والاختصار وذكر الأمور المطلوبة على وجه الإجمال.(٣٩)

وقد عرّف أبو إسحاق الصابي في إحدى رسائله الشفاعة بأنها حال تجمع المستشفع والشافع والمشفوع إليه، وفصّل القول فيما ينبغي على كل منهم،(٤٠) وصنع أبو الخطاب صنيعة — لا ندري أيهما أسبق — موجزًا، فتحدّث في القطعة الأولى من القطعتين اللتين أوردهما له القلقشندي — عند الحديث عن الشفاعات والعنايات — عن أقسام الشفاعة

ونشر قدر كبير من كتب التراث.

(٣٨) سوف ترد هذه النصوص جميعها بعد انتهاء الدراسة، محققة مرقمة مشارًا إلى أرقام صفحاتها في مصادرها.

(٣٩) انظر النوع الرابع من أنواع الإخوانيات، القلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٩، ص ١٢٤ وما بعدها والشفاعة في اللغة: الطلب لغيرك ـ علي بن إسماعيل المغربي المعروف بابن سيده، *المخصص* (القاهرة: الأميرية، ١٣١٩هـ)، مج ١٢، ص ٢٢٤.

(٤٠) أبو إسحاق الصابي، *المختار من رسائله*، القسم الثاني، ص ٣٦٤.

المقبولة، وهي عنده ثلاثة أيضًا: سائل يُدِلّ بحسن الظن، ومسؤول يرتاح إلى فعل الخير، ومسؤول فيه يستحق قضاء الحق. (٤١)

ومما يجب في الشافع أو «المسؤول» أن يوثق من كفايته والتقبل له والإقبال عليه، وأن يكون صديقًا للمشفوع إليه أو «المسؤول فيه»، له من حقوق الصداقة ما يعينه على نجاح مطلبه دون اضطرار إلى إلحاف أو إسراف، وعلى الشافع أيضًا أن يحتمل أثقال الشفاعة، وأن يَجِدّ في المسألة متلطفًا، وأن يحفظ المِنّة إذا نجح في شفاعته ويجعلها دينًا مُقترضًا وحقًّا مُفترضًا، يلتزم معه الجزاء إذا أمكنه والمقابلة إن أُريدت منه. تلك بعض واجبات الشافع وهي تَصْدُق كل الصدق على ما كتبه أبو الخطاب في القطعة الثانية التي أثبتها له *صبح الأعشى* وهي رسالة شفاعة موجزة بليغة، تشهد برسوخ قدم كاتبها وقدرته على التصرف في فنون القول. (٤٢)

ووصف الأقلام من الموضوعات التي شغف بها الكتاب والشعراء قديمًا، يشهد بذلك ما أورده المؤلفون من مثل: ابن المدّبر، وأبو بكر الصولي وابن النديم، والحصري والقلقشندي والنويري وغيرهم، عن فضل القلم وعما وصفه به الأدباء نظمًا ونثرًا، (٤٣) من مثل أبيات أبي تمام المشهورة في قصيدته التي مدح بها محمد بن عبدالملك الزيات الكاتب، منها قوله: (٤٤)

لك القلمُ الأعْلَى الذي بِشَباتِهِ   تُصَابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ

---

(٤١) النص الأول من نصوص أبي الخطاب.

(٤٢) النص الثاني.

(٤٣) انظر إبراهيم بن المدبر، *الرسائل العذراء* (*ضمن رسائل البلغاء*)، محمد كرد علي (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ٢٤٨ ـ ٢٥٠؛ و محمد بن يحيى الصولي، *أدب الكتاب*، نشره محمد بهجة الأثري (القاهرة: السلفية، ١٣٤١هـ)، ص ص ٦٦ ـ ٨٨؛ وابن النديم، *الفهرست*، ص ص ١٠، ٢٠؛ والحصري، *زهر الآداب*، ص ص ٤٣٠ ـ ٤٣٣، ٥١٩ ـ ٥٢١؛ والقلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٢، ص ص ٤٣٤ ـ ٤٣٩؛ والنويري، *نهاية الأرب*، مج ٧، ص ص ٢٠ ـ ٢٧.

(٤٤) *ديوانه*، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، مج ٣، ص ١٢٢.

ولأبي الخطاب قطعة نثرية، تعدّ من وجوه كثيرة، من أشهر ما وُصف به القلم وأبلغه، فقد تحدّث عن أقلامٍ أهداها، فأفاض في وصفها وفي الثناء عليها، وأطال الوقوف عند صفة القَصَب(٤٥) المستخدم في صناعتها، وما يمتاز به من سلاسة وملاسة وقوة. ويبدو أن هذا القصب كان يجلب من أماكن شتى، لكلٍّ منها ميزاته المتفردة، فقد تحدث أبو الخطاب عن الأقلام المصرية والأقلام المنقوشة والأقلام البحرية، ووفّى كل نوع منها حقّه من الوصف،(٤٦) فجميعها مفضّل يقبل عليه الناس ويرغبون فيه.

ويدل هذا النص النثري المهم على أن أبا الخطاب وصّاف ماهر يجيد الغوص على الدقائق والخفايا، وتظهر هذه القدرة للقارىء أيضًا فيما ورد من كلامه القصير الموجز على وصف الأبنية والأطعمة والأشربة والثياب وهو كلام — على إحكامه من الناحية الأدبية — ينطوي على خبرة طبيب،(٤٧) ولا غرو فالطب صناعة آبائه من قديم. ولأبي الخطاب كذلك عبارات موجزة في وصف الفرس والخادم والسيف،(٤٨) وكلها من الموصوفات التي أفاض فيها كتّاب القرن الرابع.

ويرى زكي مبارك — ورأيه مصيب — أن أظهر ميزة للنثر في ذلك القرن هي إجادة الوصف، ذلك أن الكتّاب اهتموا اهتمامًا عظيمًا بوصف ما رأته عيونهم أو جرى في خواطرهم أو ارتابت فيه عقولهم، بل إن الوصف لم يكن يأتي عندهم عفوًا في المناسبات الطارئة — كما كان الحال في أوائل العصر الإسلامي — لأنهم تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية وأطالوا الحديث عن الأزهار والرياض والنبات.(٤٩)

---

(٤٥) القصب كل نبات ذي أنابيب واحدتها قصبة، وكل نبات كان ساقه أنابيب وكعوبًا فهو قصب ـ *اللسان*، قصب.

(٤٦) النص الثالث من نصوص أبي الخطاب.

(٤٧) النص الرابع.

(٤٨) النص الخامس.

(٤٩) زكي مبارك، *النثر الفني في القرن الرابع الهجري*، ط ٢ (القاهرة: السعادة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) مج ١، ص ص ١٧١ ـ ١٧٩.

وإذا كان أبو الخطاب قد دلّ على اقتدار في الوصف فإنه أيضًا دلّ على أنه كاتب يُحسن الفكاهة والدعابة، ويقدر على انتزاع الضحك من الأفواه، ولدينا قطعة — هي أطول ما نعرفه من نثره — في صفة حمل مُهْدَى، يثير السخرية والعجب، فهو عجوز لا يدري أحد متى وُلد، كأنه من أيام عاد أو أحد الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته، وهو أيضًا نحيل دميم ضئيل، لم ير الطعام إلا في الحلم، لذا يدهش الناظر إليه من حلول الحياة به، بل تعافه الذئاب والسباع لو ألقى إليها. . . ، ولعل من أطرف عبارات هذه القطعة، تلك المحاورة التي يحاول فيها الحمل جاهدًا أن يُقنع صاحبه — وقد همّ بذبحه — بألا فائدة فيه، ولا نفع يُرجى من ورائه، فلا لحم فيه ولا صوف، ولا مبرّر للذبح إلا أن يكون لعداوة أو طلب ثأر، والقطعة كلها على هذه الشاكلة من الأوصاف الساخرة «الكاريكاتورية» المبالِغة. (٥٠)

وليست الفكاهة أو القدرة على الإضحاك مما يبتكره عصر معين من العصور، ولكن يبدو — وهو ما ذهب إليه زكي مبارك أيضًا — أن طائفة من كتاب القرن الرابع احتفلت بالفكاهة فصارت فنًّا له رسومه، فقصدوا إليه وتنافسوا فيه، (٥١) ولعل أبا الخطاب واحد من هؤلاء فبالإضافة إلى ما كتبه في صفة الحمل، احتفظ الثعالبي له بفصلٍ قصير في صفة الطفيلي، وما يجب أن يقوم به، كتبه على صورة ما يكتب في العهود، (٥٢) وقد سبقت الإشارة إلى مماثلته لما كتبه أبو إسحاق الصابي في عهد التطفيل المشهور، (٥٣) لا ندري أيهما أسبق.

أما عن أبي الخطاب، شاعرًا، فالحق أنه لم يصل إلينا ما يدل بصورة جازمة على أنه نظم الشعر، وإن كنا نعلم أن كثرة كاثرة من كتاب ذلك العصر كانوا في الوقت نفسه شعراء، وعلى أية حال، أثبت الثعالبي لأبي الخطاب أبياتًا تمثل بها وهو في سرادق، وقد حميت عليه الشمس ومنعته القيلولة، ولكنا لا ندري أهي من نظمه أم من نظم غيره؟. (٥٤)

---

(٥٠) النص السادس من نصوص أبي الخطاب.

(٥١) زكي مبارك، *النثر الفني*، ص ١٣٢.

(٥٢) النص السابع من نصوص أبي الخطاب.

(٥٣) انظر ما سبق في التعليقتين رقمي ٣١، ٣٢.

(٥٤) انظر النص الثامن من نصوص أبي الخطاب.

والحديث عن خصائص كاتب بعينه أو كتابات بعينها محفوف دائمًا بالمحاذير والمزالق، ذلك أن الناقد — أو الواصف — قد يلجأ إلى أحكام عامة مكرورة لا تقدم ولا تؤخر، وربما لا تسعفه النصوص لسبب أو لآخر في إقامة هيكل الخصائص المنشود ذي السمات والملامح المتميزة.

ومع ذلك فإن ما سبق ذكره من نثر أبي الخطاب — وهو كل ما أمكن العثور عليه — يكشف عن بعض خصائصه، كما يكشف في يسر عن كثير من أوجه الشبه بينه وبين كتاب عصره.

يدل هذا النثر، مع أنه جدّ قليل، على ثقافة كاتبه المتنوعة، ففيه استشهادات واقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال، وفيه أيضًا إشارات دينية وتاريخية واجتماعية وطبية... كما يدل أيضًا على أن كاتبه ممن طوّعوا النثر وجعلوه قادرًا على تقييد الخواطر والآراء، وحفظوا له في الوقت نفسه جمال الصنعة ودقة الأسلوب، فأضحى النثر عنده فنًا خالصًا يسامي الشعر ويباريه في الزخرف والتهاويل والوزن والقافية.

ويبدو أن أبا الخطاب كان يهتم اهتمامًا بالغًا بهندسة عباراته ورصفها رصفًا يحقق لها التعادل والتساوي، ومثال ذلك ما بدا في سطوره التي تحدث فيها عن الأبنية والأطعمة والأشربة والثياب، فقد وصف كلًّا منها في أربع جمل، كل جملة منها تتساوى في طولها مع الأخرى،(٥٥) غير أن الغالب عليه في سائر كتابته، ثنائيةٌ يلتزمها ويحرص عليها، وكأنها مزدوجات شعرية، فهو لا يجعل السجعة أو الفاصلة تزيد على اثنتين، مما أضفى على نثره نوعًا من النظام أو الرتابة، يتوقعه القارىء ويتهيأ له.

ولا شك في أن أبا الخطاب قادر على السجع، وعلى الإتيان بأكثره رائقًا معبِّرًا لا تكلف فيه ولا استكراه، ولكنه متى شاء تحرر منه واستبدل به غيره من الأساليب الحرة

---

(٥٥) النص الرابع.

الخالية من القيود أو التي تعمد إلى الازدواج (أي المزاوجة، أو ما اصطلح بعض البلاغيين على تسميته بالسجع العاطل).

ويصعب الحكم على مقدرة أبي الخطاب في الكتابات الديوانية — وهي صناعته — لأنها مفقودة لم يصل إلينا منها شيء، ولكن يدل على إجادته فيها فصلاه القصيران في الشفاعة، وحقًّا هما من ألوان الكتابات الإخوانية حسب تقسيمات القدماء، ومع ذلك فهما يشبهان الكتابة الديوانية مضمونًا وشكلاً من وجوه كثيرة.

ويجزم القارئ لهذا النثر المتبقي بأن كاتبه وصّاف بارع وفكه ساخر، بل إن المتأمل في قطعته التي وصف فيها الحَمَل(٥٦) ليوشك أن يرى فيها ملامح قوية لا تخطئها عين ولا أذن، من ملامح فن المقامات التي نضجت واستوت سماتها الفنية على يد بديع الزمان الهمذاني في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

نصوص لأبي الخطاب

النص الأول

في الشَّفاعات والعنايات:

أَبْسَطُ الشَّفاعَة وَجْهًا، وأَقْرَبُها نُجْحًا، وَأَوْقَعُها في القُلُوب، وَأَسْرَعُها إلى القَبُول، ما وَقَعَ من أَقْسامٍ ثَلاَثة: من إِدْلال(٥٧) السَّائِلِ بِحُسْن الظَّنِّ، وارْتِياح المَسْؤُول إلى فِعْل الخَيْر، واسْتِحْقاق المَسْؤُولِ فيه لِقَضاء الحَقّ.

فإذا اجتمعَ لها ذلك، كانت الثِّقَةُ بها زَائِدة، والفُتُوَّة(٥٨) لها رَائِدَة، والفَضْلُ عليها قَائِمًا، والنُّجْحُ بها قادمًا، وكان الشُّكْرُ من أَقَلِّ مَوْجُودَاتِها، والمِنّةُ من أَجَلِّ مَذْخُوراتها.(٥٩)

---

(٥٦) النص الثالث.

(٥٧) الإدلال والدل: الاجتراء، وأدلَّ عليه: وثق بمحبته فأفرط فيه.

(٥٨) كذا.

(٥٩) القلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٩، ص ١٢٧.

النص الثاني

وله في الشَّفاعات والعنايات أيضًا:

إن دَلَّ المَمْلُوكُ فَبِصدقِ المَوَدَّة، أو عَوَّلَ فعَلَى حُسْنِ النِّيَّة، أو استَظْهَر فَبِقَديم الحُرْمة، أو استَنْصَر فَبِكَريم الرِّعاية. (٦٠)

ووراءَ ذلك هِمَّةٌ من مَوْلانا بَعِيدَةُ المَرَامي، طَويلةُ المَساعي، شَامِخَةُ الأنْف، سابقة(٦١) الطَّرف، تُوجِدُ الآمالَ سَراحًا، وتُوسِعُها نجاحًا(٦٢)، وتَأْخُذُها خِماصًا، وتَرُدُّها بِطانًا، (٦٣) وتُوردُها هِزالًا، وتُصْدِرُها سِمانًا، (٦٤) وثِقَةٌ مني قد أَحْكَمَ عَقْدَهَا الزّمان، وَأَوْثَق شَدَّها الامتحان، فَصارَتْ لأغْراض المَمْلُوك رائدة، وفي قُوَّةِ نَفْسِه زائدة، فالمملوكُ من اجْتماع هذه الأقسام، وَوُجُوبِ ما تَقْتَضِيه من الأحْكَام، بَيْنَ ظَنٍّ جَمِيلٍ، لا مجالَ للشَّكِّ عليه، ويَقينٍ صَحِيحٍ لا وُصُولَ للارتِيابِ إليه. (٦٥)

النص الثالث

ومن كتابٍ له يصفُ فيه أقلامًا أهداها في جملة أصناف:

وأضفتُ إليها أقلامًا سليمةً من المعايب، مُبَرَّأَةً من المَثَالِب، (٦٦) جَمَّةَ المَحَاسِن، بَعِيدَةً

---

(٦٠) عوّل: اتّكل واعتمد، استظهر: استعان أو احتاط؛ استنصر: استمد النصر وطلبه.

(٦١) قوله: «سابقة» أرجح أنه محرّف، والصواب: «سامقة...» أي عالية.

(٦٢) يقال: سرح سراحًا أي خرج في أموره سهلًا، وهو يفعل ذلك في سراح ورواح أي في سهولة؛ تُوسعها: تجعلها تسعها، وفي الدعاء: «اللهم أوسعنا رحمتك.»

(٦٣) خِماص: ضامرة هزيلة من الجوع، بِطان: ممتلئة البطون، وفي الحديث: «تغدو خماصًا، وتروح بطانًا.»

(٦٤) أورده الماءَ أو البلد: جعله يرده أي يشرف عليه، دخله أو لم يدخله، أَصْدره: صرفه عن الورود وعن كل أمر، الهزال نقيض السّمن، يقال: هَزَل الفرس، وَهَزَلَه صاحبه وأَهْزله وهزّله.

(٦٥) القلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٩، ص ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٦٦) المعايب والمثالب كلاهما بمعنى، لامه وثلبه أي عابه وتنقصه.

عن المَطَاعِن، (٦٧) لم يَرِبْها طُولٌ ولا قِصَر، ولم يُنْقِصْها ضَعْفٌ ولا خَوَر، (٦٨) ولم يَشِنْها لِينٌ ولا رَخَاوَة، ولم يَعِبْها كَزَازَةٌ ولا قَسَاوَة، (٦٩) وهي آخِذَة بالفضائِل من جَميع جهاتها، (٧٠) مُسْتَوْفِيَةٌ للمدائح بسائِر صفاتها، صُلْبَةُ المَعَاجِم، (٧١) لَدْنَةُ المَقَاطِع، (٧٢) مُوفِيَةُ القُدُود والألوان، (٧٣) مَحْمُودَةُ المَخْبَر والعِيَان، قد استوى في المَلاَسة خارجُها وداخلها، وتَنَاسَبَ في السَّلاَسَة عَاليها وسافِلُها، (٧٤) نَبَتَتْ بين الشَّمْس والظِّل، واخْتَلَفَ عليها الحَرُّ والقُرّ، (٧٥) فَلَفَحها وَقَدَانُ الهَوَاجِر، (٧٦) وَلَفَعَها سَمائِمُ شَهْرُ نَاجِر، (٧٧) وَوَقَذَها الشَّفَّانُ بصَرَده، (٧٨) وَقَذَفَها الغَمامُ ببَرَده، وَصَابَتْها الأَنْواء بصَيِّبها، (٧٩) وَاسْتَهَلَّتْ عليها السَّحائِبُ بشَآبيبها، (٨٠) فاسْتَمَرَّت مَرائِرُها على إحكام، (٨١) واسْتَحْصَد سَحْلُها بالإبرام، (٨٢) جاءت شَتى الشِّيات، (٨٣) مُتَغايِرةَ الهيئات، متباينةَ المحالِّ والبُلْدان تَخْتَلِفُ بتباعد ديارها، وتأْتَلِفُ بكَرَم نِجَارها. (٨٤)

فمن أَنَابيبَ ناسَبَتْ رِماحَ الخَطِّ(٨٥) في أَجْناسِها، [وَسَاكَنَتْ أُسُودَ الغِيل في أَخْياسِها]، (٨٦) وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ في أَلْوانها، وَضَاهَتْ الحَرِيرَ في لَمَعَانها، [كأنها الأَمْيَالُ اسْتِواءً، والآجالُ مَضَاءً]، (٨٧) بَطِيئَةِ الحَفَى، (٨٨) نَمِرَةِ القُوَى، (٨٩) لا يُشَظِّيها القَطّ، (٩٠) لا يُشَعَّبُ بها الخطّ. (٩١)

---

(٦٧) ورد في الثعالبي، *سحر البلاغة*: «أقلام جمة المحاسن بعيدة عن المطاعن، تعاصى الكاسر المعاصر فتمانع العامر القاصر، صلبة المعاجم، لدنة المقاطع.» وفي *زهر الآداب*: «مداد ناسب خافية الغراب واستعار لونه من شرخ الشباب (وورد مثله في *سحر البلاغة*، ص ٥٤ وفيه: . . . لونه شعر الشباب) وأقلام. . تعاصي الكاسي وتمانع الغامز القاسي.» وهي عبارات فيها تحريف كثير، تُعاصي: بمعنى تَعْصى أي تخالف الأمر ولا تطيع، الغامز: من غمزه أي كَبَسَه وعَصَره بيده، يقال غمز الكبش: جسّه بيده لينظر سِمْنته، والمغامز: المعايب.

(٦٨) لم يَرِبْها: لم يَنُبْها ويُصِبْها، وضبطه محقق *نهاية الأرب* بضم الياء وفتح الراء، وهو وجه صحيح، الخَوَر: الضعف والوهن.

(٦٩) في *صبح الأعشى*: «ولا ينقصها ضعف خور ولا يشينها. . .» وما في *نهاية الأرب* أصحّ، الكزازة: اليُبس والتقبض، القساوة: الصلابة والغلظ.

(٧٠) *نهاية الأرب*: «فهذه آخذه. . .» وفضّلت ما في *صبح الأعشى*.

(٧١) أي قوية؛ عَجَمَه: عضّه شديدًا أو لاكه ليخبره ويعلم صلابته، ويقال: «هو صلب المَعْجمه والمَعْجَم»، أي عزيز النفس إذا جرسته الأمور وجدته عزيزًا صلبًا.

(٧٢) *نهاية الأرب*: «لينة» موضع «لدنة،» وكلاهما بمعنى.

=

=(٧٣) قوله: «موفية» لعل صوابه: «وافية»، يقال: وفي الشيء: تم وكثر، وأوفيته أنا: أتممته.

(٧٤) *صبح الأعشى*: «وقد استوى. . .» ـ السلاسة: السهولة والانقياد، مصدر سلس.

(٧٥) القُرّ: البرد عامّة.

(٧٦) قال محقق *نهاية الأرب* في هامشه إن: «في الأصل: فلافحها. . . والصواب ما أثبتناه كما تقتضيه اللغة»، لفحها: ضربها وأصابها إصابة خفيفة، الوقدان: مصدر وقد أي هاج وحمى بالحرّ، الهواجر: جمع الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر عند شدة الحرّ.

(٧٧) لفعها: أصابها لهيبها وشملها من نواحيه، السمائم: جمع السموم وهي الريح الحارة تكون غالبًا في النهار وقد تكون بالليل، والحرور بالليل وقد تكون بالنهار، والسموم أيضًا: الباردة ليلاً كان أو نهارًا؛ ناجر: بكسر الجيم وقد يفتح، شهر رجب أو صفر، أو هو كل شهر من شهور الصيف لأن الإبل تنجر فيه أي يشتد عطشها. وفي *نهاية الأرب*: «وسفعتها (سمائم). . . وفي هامشه أن التكملة من *صبح الأعشى*؛ سفعتها: لفحتها لفحًا يسيرًا فغيرت لونها وسودته.

(٧٨) وقذها: غلبها؛ الشفّان: الريح فيها برد ومطر، يقال غداة ذات شفان؛ الصرد: بسكون الراء وقد يحرك، البرد وقيل شدته، فارسي معرب.

(٧٩) كذا، وأرجح أنه تحريف والصواب «بصَبيبها» أي بمائها المصبوب، لتجري في قافية الفاصلة التي تليها؛ صابتها: جادتْها، والصَّوْب والصَيِّب: المطر؛ الأنواء: ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، ولا يكون نوء حتى يكون معه مطر، وإلا فلا نوء.

(٨٠) الشآبيب: مفرده شؤبوب، وهو الدفعة من المطر، ولا يقال له ذلك إلا وفيه برد.

(٨١) المرائر: الحبال المفتولة على أكثر من طاقة واحدة، واحده: مرير ومريرة، شبه بها القصبة في استحكامها وقوّتها.

(٨٢) في *صبح الأعشى* «سجلها» وكتب المحقق في هامشه: «لعله حبلها، وحرر» السحل: الحبل الذي يفتل على قوة واحدة، واستحصد: استحكم فتله؛ الإبرام: فتل الحبل على طاقتين.

(٨٣) أي مختلفة الألوان والنقوش.

(٨٤) النجار: الأصل والحسب.

(٨٥) *صبح الأعشى*: «فمن أنابيب قنا ناسبت. . .» وفيه زيادة ليست في *نهاية الأرب* و *سحر البلاغة* وزهر *الآداب*؛ الخط: هو خط عمان وهي مواضع كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوم فيها وتباع على العرب ـ انظر: معجم *البلدان*، الخط.

(٨٦) الزيادة من سحر *البلاغة*؛ الغيل: شجر ملتف كالأجمة، وهو موضع الأسد، ومثله في المعنى: الخيس، مفرد الأخياس، وهو المجتمع من كل شجر أو الملتف من القصب والنخل.

(٨٧) الزيادة من سحر *البلاغة*؛ الأميال: جمع الميل وهو منار يبنى للمسافر في نشاز الأرض، ومن معاني الميل أيضًا: الململ الذي يكتحل به ـ انظر *تاج العروس*: ميل.

(٨٨) كذا في سحر *البلاغة* و زهر *الآداب* وهو الصواب، والذي في صبح *الأعشى*، «مضابطة الحفاء»=

ومن مِصْرِيَّة بيض، كَأَنَّها قَبَـاطِيٌّ مِصرْ نَقَـاء، وغِرْقِىء البَيْض صَفَاء،⁽⁹²⁾ غَذَاها الصَّعِيدُ من ثَرَاه بِلُبِّه، وَسَقَاها النِّيلُ من نَمِيرِه وعَذْبِه،⁽⁹³⁾ فَجَاءَتْ مُلْتَئِمَةَ الأجْزاء، سَلِيمَةً من الالتِواء، تَسْتَقِيمُ شُقُوقُها في أَطْوَالِها، ولا تَنَكَّبُ عَنْ يَمِينِها ولا شِمالِها، مُقْتَرِنٌ بها صفراء

ولا معنى له، وأثبت محقق *نهاية الأرب* رواية *زهر الآداب*، وذكر في هامشه أن في الأصل وفي *صبح الأعشى*: «مضابطة» موضع «بطيئة» وهو خطأ من الناسخ. وفي *سحر البلاغة* «بطيّة . . . .» يقال: حفى — من باب صَدِى — من كثرة المشي رقّت أو حافره، فإنه بيّن الحفى مقصور، والذي يمشي بلا خفّ ولا نعل حاف بين الحفاء ممدود ـ *تاج العروس*، حفى.

(٨٩) كذا في *صبح الأعشى* و *نهاية الأرب* ـ والذي في *سحر البلاغة* و *زهر الآداب*: «قوية القوى» وهو وجه صحيح؛ نَمِرَ نَمَرًا ونُمْرة: كان على شبه النمر، وهو أن تكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى على أي لون كان، يقال: نَمِر السحاب فهو نَمِر وهي نَمِرة. والنمِرة: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض.

(٩٠) في *صبح الأعشى*: «لا يسيطها . . .» ولا معنى له والصواب من *سحر البلاغة* و *زهر الآداب*، وقد أثبته محقق *نهاية الأرب* وقال في هامشه: «في الأصل يشيطها، وهو تحريف ولم نر من معانيه ما يناسب المقام والتصويب من زهر *الآداب*»، وفي *لسان العرب*: شظى: «تشظّى الشيء: تفرق وتشقق وتطاير شظايا، وشظّاه هو، وتشظّى القوم: تفرّقوا.» وانظر عن التحذير من تشظّي الأقلام: الصولي، *أدب الكتاب*، ص ٧٢؛ والقلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٢، ص ٤٦٨، وذكر الصولي في *أدب الكتاب*، ص ٨٨: «والشظية ما تشظّى من الأنبوب والجمع شظايا، وشَظِي القلم يَشْظَى شظًا إذا صارت مع أحد سنيه شظية عنه. . .»، القطّ: القطع، يقال قططت القلم أَقُطّه إذا قطعت سنّه، انظر: القلقشندي، *صبح الأعشى*، مج ٢، ص ٤٥١.

(٩١) كذا في *صبح الأعشى*، والذي في *سحر البلاغة*: «ولا يتشعّث،» وفي *زهر الآداب*: «ولا يتشعّب،» وفي *نهاية الأرب*: «ولا يشعّث،» وكله صحيح بمعنى يفرق وينتشر. وورد في *سحر البلاغة* عبارات: «أنا بيت ناسبت. . . الخط» ومثله في *زهر الآداب* وفيه: «. . . وضاهت الحديد. . . .»

(٩٢) القباطي: بضم القاف وفتحها وبتشديد الياء وتخفيفها، جمع القبطية وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس: ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر، *اللسان*: قبط؛ الغِرْقِىء: القشرة الملتزقة ببياض البيض، أو هو البياض الذي يؤكل.

(٩٣) وضع محقق *نهاية الأرب* لفظة «قباطي . . . بلبه» بين معقوفين، وقال في هامشه إنها زيادة من *صبح الأعشى*؛ الصعيد: كلّ تراب طيب، ولعله يعني به في هذا السياق صعيد مصر المعروف؛ النمير من الماء: الكثير مطلقًا أو الزاكي في الماشية الناجع في الريّ عذبًا كان أو غير عذب.

كَأَنَّها معها عِقْيان قُرن بلُجَيْن، أو وَرق خُلِطَ بعَيْن، (٩٤) تَخْتَالُ في صُفْر مَلاَحِفِها، وتَميسُ في مُذْهَبِ مَطَارِفها، (٩٥) بِلَوْنِ غِيَابِ الشَّمْس، وصِبْغِ ثِيابِ الوَرْس. (٩٦)

ومن مَنْقُوشةٍ تَرُوقُ العَيْن، وتُونِق النَّفْس، ويُهْدِي حُسْنُها الأَرْيَحيَّة إلى القُلوب، ويَحُلّ الطَّرَبُ لها حُبْوَة الحكيم اللبيب، (٩٧) كأنَّها اختلافُ الزَّهْر الّلامع، وأصنافُ الثَّمرِ اليانع.

ومن بَحْريَّة مَوْشِيّة الِّليط، رائِقَة التَّخْطِيط، (٩٨) كَأَنَّ داخلَها قَطْرَةُ دَم، أو حاشيةُ رِدَاءٍ مُعْلَم، وكأنَّ خَارجَها أَرْقَم، أو مَتْنُ (٩٩) وَادٍ مُفْعَم، نَشَرَتْ أَلْوانًا تُزْرِى بِوَرْد الخُدود وَأَبْدَتْ

---

(٩٤) *نهاية الأرب*: «تقترن بها. . .،» وفي *صبح الأعشى*: «خط بعين»؛ العقيان: ذهب ينبت نباتًا، وليس مما يستذاب ويحصّل من الحجارة، وقيل هو الذهب الخالص؛ اللجين: الفضة، لا مكبر له، جاء مصغرًا مثل الثريا والكميت؛ الورق: الدراهم أو الفضة، والورِق: المال كله؛ العين: المال العتيد الحاضر أو النقد أو الدينار أو الذهب عامة.

(٩٥) المطارف: أردية من خزّ مربّعة لها أعلام، واحده مطرف بكسر الميم وضمها.

(٩٦) يقال ثوب ورس ووارس أي مصبوغ بالورس وهو شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأولَ الشتاء، إذا أصاب الثوب لونّه، أو هو نبات كالسمسم يزرع فيبقى عشر سنين في الأرض، فإذا جفّ عند إدراكه تفتقت فينفض، فينتفض منه الورس.

(٩٧) *صبح الأعشى*: «الطرف لها حبوة الحليم. . .»، الأريحية: الإشراق للشيء والفرح به، يقال أخذته الأريحية أي ارتاح للندى؛ الحُبوة: بضم الحاء وفتحها: الثوب الذي يحتبي به أو هو الاسم من الاحتباء بالثوب وصورته أن يجمع الشخص بين ساقيه وظهره بثوب ونحوه، أو بيديه.

(٩٨) في *نهاية الأرب*: «من. . . الليط» موضوع بين معقوفين، وذكر المحقق أنه زيادة من *صبح الأعشى*، وفيه أيضًا «التخليط» وهو وجه صحيح، موضع «التخطيط»؛ الليط: ما كان من قشر الأنبوب، والجمع ألياط، مثل عِنب وأعناب، ومثل جَمل وأجمال، انظر: الصولي، *أدب الكتاب*، ص ٨٨، *ولسان العرب*: ليط؛ التخطيط: التسطير، وشيء مخطط: فيه خطوط؛ التخليط: المزج، يقال خلط الشيء بالشيء وخلّطه. والذي في *سحر البلاغة* و *زهر الآداب*: «أقلام بحرية (*سحر البلاغة*: ثجرية) موشية الليط رائقة التخطيط، قلم (*سحر البلاغة*: كل) معتدل الكعوب طويل (*سحر البلاغة*: قوى) الأنبوب. . . .»

(٩٩) مُعْلَم: فيه رسم أو رقم؛ الأرْقَم: ما فيه سواد وبياض أو رُقم بسواد وحمرة أو كُدرة وبغتة، والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس أو أضعفها وأقلها غضبًا، والأرقم أيضًا: القلم؛ المَتن: الظهر، أو ما صلب من الأرض وارتفع واستوى.

قاماتٍ تَفْضَحُ تَأَوُّدَ(١٠٠) القُدود . (١٠١)

النص الرابع

وقال :

خَيْرُ الأبنيةِ ، ما اتَّسَعَ صَحْنُه ، وارْتَفَعَ سَقْفُه ، وَطَالَ مَدْخَلُه ، وبَعُدَ مُتَوَضَّؤه . (١٠٢)

وخيرُ الأطْعِمَةِ : مَا طَابَتْ رَائِحَتُه ، وحَسُنَ مَنْظَرُه ، وَلَذَّ طَعْمُه ، وَجَادَ غِذَاؤه .

وخيرُ الأشْرِبَةِ : ما يَرُوقُ العَيْنَ ، وَيَلَذّ الفَم ، وَيَسُرُّ القَلْب ، وَيَنْعَش النَّفْس . (١٠٣)

وخيرُ الثِّيابِ : ما دَقَّ غَزْلُه ، وَرَقَّ نَسْجُه ، وَلاَنَ مَسُّه ، وَطَابَ لُبْسُه . (١٠٤)

النص الخامس

من كتاب إلى أبي السَّرايا الحمداني(١٠٥) عن حَبَشيٍّ(١٠٦) بن مُعِزّ الدولة في وصف فرس وغلام وسيف :

---

(١٠٠) *نهاية الأرب* : «نثرت ألوانًا . . . تفضح بأود القدود» ؛ تُزرى به : تُحقِّره وتُهوِّنه ؛ الأوَد : العِوَج ، وتَأَوَّد : تعوّج وتثنّى ؛ القدود : جمع القدّ ، وهو القامة واعتدالها .

(١٠١) النويري ، *نهاية الأرب* ، مج ٧ ، ص ص ٢٣ ـ ٢٥ ؛ القلقشندي ، *صبح الأعشى* ، مج ٢ ، ص ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ . ووردت بعض العبارات غير منسوبة في *سحر البلاغة* للثعالبي ، ص ٧ ، وقريب منه ما في *زهر الآداب* للحصري ، ص ص ٥١٩ ـ ٥٢٠ بعد عنوان : «قال العاصر» ولا معنى له ، ويبدو أن فيه تحريفًا أو سقطًا .

(١٠٢) صَحْن الدار : ساحة وسطها ؛ المُتَوَضَّأ : الموضع الذي يتوضأ فيه أو منه ، أي المِطهرة ، وهي الميضأة أيضًا ، وقد رسم ناشر *برد الأكباد* اللفظة هكذا : «متوضأة» وجعلته كما ترى .

(١٠٣) ينعشه : ينهضه ويقوِّي فِقَره .

(١٠٤) الثعالبي ، *برد الأكباد* ، ص ١٣٢ تحت عنوان : «في العدد أربعة .»

(١٠٥) ورد اسم أبي السرايا نصر الحمداني في : إدوارد فون زامباور ، معجم *الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي* ، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود (القاهرة : جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م) ، ص ٥٨ عند الحديث عن الموصل ، وفيه أنه حكمها سنة ٣١٩هـ ـ وانظر أخبار سنة ٣١٨هـ في *الكامل* لابن الأثير .

(١٠٦) هو في *خاص الخاص* : «حبش» وأرجح أنه تحريف من الناسخ أو الناشر ، صوابه «حبشي» أو «الحبشي» ـ انظر ما سبق في التعليقة رقم ٩ .

بَعَثْتُ إلى سيّدي فرسًا أحسنَ من البُراق، وَأَخَفّ من البَرْق، (١٠٧) وَأَسْيَر من الدُّعَاء المُسْتَجاب، وَأَسْرَى من الخَيال، وأَسْرَع تَوَغُّلاً في الجبال من الأوْعال، (١٠٨) وغُلامًا أَزْيد من الهِلال، وَأَكْيَس (١٠٩) من النَّحْلَة، وَأَظْرَفَ من الغَزَال، وَسَيْفًا أحسَنَ من التَّلاق، وَأَقْطَعَ من الفِراق. (١١٠)

النص السادس

قطعة من رسالة، أجاب بها أبو الخطاب الصابي، عن أبي العباس بن سابور، إلى الحسين بن صبرة، (١١١) عن رُقْعة وَرَدَتْ منه، في صفة حَمَلٍ (١١٢) أهداه: (١١٣)

---

(١٠٧) في *خاص الخاص*: «أحف...» بالحاء المهملة، ورجحت أنه مصحّف، فجعلته: «أخفّ»، يقال: خفّ في عدوه أي أسرع؛ البراق: اسم دابة يركبها الأنبياء، وقيل: فرس جبريل، وقال الجوهري: اسم دابة ركبها رسول الله ﷺ ليلة المعراج، وذُكر في الحديث، قال: وهو الدابة التي ركبها ليلة الإسراء، سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته، شبهه فيها بالبرق ـ انظر: *اللسان*، برق.

(١٠٨) أَسْرى: أفْعل من سرى، والسُّرَى هو سير الليل كله أو في أوله أو في آخره؛ توغّل في السير: أمعن فيه وبالغ، وقوله: «توغلا» لعله تحريف من الناسخ أو الناشر، والصواب «توقلا» والتوقل في الجبل: صعوده أو الإسراع فيه؛ الأوعال: جمع وَعْل وهو تيس الجبل، والأنثى وعلة، وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان منحنيان كسيفين يلتقيان حول أذنيه من أعلاه.

(١٠٩) قولـه «أزيد» أرجح أنه تحريف من الناسخ أو الناشر، والأصح أن يقال «أزين» أي أحسن، والزين: الشيء الحسن؛ أكيس: أفعل من: كاس كيسًا بمعنى فطن وظرف أو خفّ وتوقّد.

(١١٠) الثعالبي، *خاص الخاص*، ص ٤٠ تحت عنوان: «أفعل من كذا منسوبة إلى أصحابها نظمًا ونثرًا».

(١١١) لم أجد له ذكرًا في المصادر التي اطلعت عليها.

(١١٢) الحمل: الخروف، وقيل ولد الضأن من الجذع فما دون، والجمع حملان وأحمال.

(١١٣) كذا ورد عنوان الرسالة في *زهر الآداب*، تحقيق البجاوي، وقريب منه ما أورده المحقق نفسه في *جمع الجواهر*، مصوّبًا من *نهاية الأرب*. والذي في *زهر الآداب*، تحقيق زكي مبارك، ط ٢ (القاهرة: الرحمانية، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، مج ٢، ص ٥٥٥ «... بن سابور المستخرج إلى الخير بن مبرة عن رقعة...» وفي *جمع الجواهر* (القاهرة: الرحمانية)، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ «رسالة لأبي الخطاب الصابي أجاب بها عن أبي العباس بن سابور المستخرج أبا الخير بن سبر عن رقعة وصلت منه في صفة حمل أهداه كتبتها على اختصار.» وفي *نهاية الأرب*: «وكتب أبو الخطاب =

وصلتْ رقعتُـك، ففضضتُهـا عن خطٍّ مشرق، ولفظٍ مونق، (١١٤) وعبارةٍ مُصيبة، ومعـانٍ غريبـة، واتسـاعٍ في البـلاغـة يعجـزُ عنـه عبـدالحميد في كتـابته، وسَحْبَانُ في خطابتـه، (١١٥) وتصرّفٍ بينَ جِدٍّ أَمْضَى من القَـدَر، (١١٦) وهَزْلٍ أرقَّ من نسيم السَّحَر، وتقلُّب في وجوه الخِطاب الجامع للصواب، (١١٧) إلا أنّ الفِعْل قصر عن القول، لأنك ذَكَرْتَ

= الصابي إلى الحسين بن صبرة جوابًا عن رقعة أرسلها إليه في وصف حمل أهداه إليه، جاء منها. . . . » وفي *جمع الجواهر* إشارة إلى أن أبا الخطاب هو «عم أبي إسحاق الصابي»، وفيه سقط، والصواب أنه ابن عمه.

(١١٤) *جمع الجواهر*: «وصلت رسالتك. . . » ـ الرقعة: واحدة الرقاع التي تكتب في الدعوات والحقوق وغيرها ـ مونق: معجب، يقال آنقني الشيء.

(١١٥) *جمع الجـواهـر*: «يعجـز عنهـا. . . » زهـر *الآداب*: «وقس وسحبان. . » وعبدالحميد بن يحيى المعـروف بالكـاتب (ت ١٣٢هـ) من أئمـة الكتـاب، يضرب به المثـل في البلاغة وعنه أخذ المترسلون؛ انظر: ابن النديم، *الفهرست*، ص ١١٧ ومحمد بن عبدوس الجهشياري، *الوزراء والكتاب* (القاهرة: الحلبي، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ص ص ٧٢ ـ ٨٣؛ وابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج ٣، ص ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢. وسحبان بن زفر بن إياس الوائلي (ت ٥٤هـ) يضرب به المثل في الخطابة والبيان، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمنًا في الإسلام؛ انظر: أحمد بن محمد الميداني، *مجمـع الأمثـال* (القـاهـرة: البهية، ١٣٥٢هـ)، مج ١، ص ٢٥٩، وأحمد بن علي المعـروف بابن حجـر العسقـلاني، *الإصـابـة في تمييز الصحـابـة* (القـاهـرة: الفجـالـة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، مج ٥، ص ٥؛ وعبدالقادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب*، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: الخانجي؛ الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨١م)، مج ١٠، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢؛ وعـلي بن الحسن المعـروف بابن عساكر، *تهذيب تاريخ ابن عساكر*، تصحيح عبـدالقـادر بدران (بـيروت: دار الميسرة، ١٩٧٩م)، مج ٦، ص ٦٧. وقس بن ساعـدة بن حذافـة الإيادي — الـذي ورد ذكـره في رواية زهر *الآداب* — من حكماء العرب وخطبائهم، ويقال إنه أول من خطب متوكئًا على سيف أو عصا، وأول من قال: «أما بعد» في كلامـه، ويضرب به المثـل في خطابتـه، توفي سنـة ٢٣ قبـل الهجرة تقريبًا، انظر: أبو الفرج الأصفهـاني، *الأغـاني* (القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٩م)، مج ١٥، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٥٠؛ والميداني، *مجمع الأمثال*، مج ١٢، ص ص ١١٧ ـ ١١٨؛ والبغدادي، *خزانة الأدب*، مج ٢، ص ص ٨٩ ـ ٩١.

(١١٦) كذا، والشطط فيه واضح، وروايته في *جمع الجواهر*: «من القضاء والقدر»؛ أمضى: أقطع وأنفذ.

(١١٧) جمع الجواهر: «لفنون الصواب»؛ التقلّب في الأمور: التصرف فيها والنظر في عواقبها والاحتيال لها.

حَمَلاً،(١١٨) جعلتَه بصفتك جَمَلاً، فكان المُعَيْدِيَّ الذي تسمعُ به ولا أن تراه.(١١٩)

وَحَضرَ، فرأيتُ كَبْشًا مُتقادم الميلاد من نَتاجِ قومِ عاد،(١٢٠) قد أَفْنَتْه الدُّهور، وتعاقبت عليه العُصور، فظننتُه أحدَ الزوجين اللذين حَمَلَهما نُوحُ في سفينته،(١٢١) وَحفِظَ بهما جنسَ الغَنَم لذرّيته، صَغُر عن(١٢٢) الكِبْر، ولَطُف في القَدْر،(١٢٣) فبانتْ دمامتُه، وتَقَاصَرَتْ قامتُه،(١٢٤) وعاد ناحلاً ضئيلاً، باليًا هزيلاً، باديَ السَّقام، عاريَ العِظام، جامعًا للمعايب، مُشْتملاً على المثالب، يعجبُ العاقلُ من حلولِ الحياةِ به، وَتَأَتّي الحركةِ فيه،(١٢٥) لأنه عَظْمٌ مُجَلَّد، وصُوفٌ مُلَبَّد،(١٢٦) لا تَجِدُ فوقَ عظامِه سَلَبًا،(١٢٧) ولا تَلْقى

---

(١١٨) *نهاية الأرب*: «وتصرف . . لأنك» متروك، وأورد بعده: «وذكرت فيها حملاً.»

(١١٩) *جمع الجواهر*: «وكان كالمعيدي تسمع به لا أن تراه» وأثبته محقق *نهاية الأرب*: «وكان كالمعيدي أسمع به ولا أراه» وقال في هامشه: «كذا في *مباهج الفكر*، وفي الأصلين: أسمع به لا أن تراه.» وفي الميداني، *مجمع الأمثال*، مج ١، ص ١٣٦ «أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وهو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، ويروى: «تسمع . . .» و«لأن تسمع . . .» و«تسمع بالمعيدي لا أن تراه.»

(١٢٠) الكبش: فحل الضأن في أي سنّ كان أو إذا أثنى أو إذا أربع؛ وعن قوم عاد انظر السور القرآنية: هود، ٥٠ ـ ٦٠؛ الشعراء، ١٢٣ ـ ١٤٠؛ فُصِّلت، ١٣ ـ ١٦؛ الأحقاف، ٢١ ـ ٢٨؛ وورد ذكرهم في الأعراف، ٦٥، ٧٤؛ التوبة، ٧٠، إبراهيم، ٩؛ الحج، ٤٢؛ ص ١٢؛ غافر ٣١؛ ق ١٣ . . . .

(١٢١) *زهر الآداب*: «جعلهما نوح . . .» ـ يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، سورة هود، ٤٠.

(١٢٢) ربما كانت «عن» هنا تحريفًا، والصواب «من.»

(١٢٣) كذا في *نهاية الأرب*، وهو الأصحّ، والذي في *زهر الآداب* و*جمع الجواهر*: «ولطف عن القدم.»

(١٢٤) الدمامة: قبح المنظر وصغر الجسم؛ تقاصرت: تضاءلت؛ القامة: القدّ وحسن الطول.

(١٢٥) جمع الجواهر: «الحركة له»؛ *نهاية الأرب*: «من حلول الروح فيه» موضع: «من حلول . . . الحركة فيه»؛ تأتّى له الأمر: تسهّل وترفّق وأتاه من وجهه.

(١٢٦) مجلّد: لم يبق عليه إلا الجلد ـ يقال: تلبّد الصوف والتبد: تداخل ولزق، ولبّده: ألزقه بشيء لزج أو صمغ حتى صار كاللّبد.

(١٢٧) قال محقق *نهاية الأرب* في هامشه إن في بعض النسخ: «لا يوجد فيها فوق عظامه سلبًا» وفي بعضها الآخر: «لا يوجد فوق عظامه تسلبًا» وإن ما أثبته من *مباهج الفكر*؛ السّلب: ما يسلب، أو هو كل شيء على الإنسان من اللباس، ويريد به هنا اللحم.

يدُك(١٢٨) منه إلا خَشَبًا، لو أُلْقِي للسَّبُع لأباه، ولو طُرِح للذِّئْب لعافَه وَقَلاه، (١٢٩) قد طال لِلْكَلأ فَقْدُه، (١٣٠) وَبَعُد بالمرعى عهدُه، لم يَرَ القَتَّ إلا نائمًا، ولا عَرَفَ الشَّعيرَ إلا حالمًا. (١٣١)

وقد خَيَّرْتَني بين أن أَقْتَنِيَه فَيَكُون فيه غِنى الدَّهر، أو أَذْبَحه فَيَكُون فيه خِصْبُ الرَّحْل، (١٣٢) فمِلْتُ إلى استبقائه لما تَعْرِفُه من مَحَبَّتي للتَّوفير، وَرَغْبَتي في التَّثْمير(١٣٣) وجَمْعي للولد، وادِّخاري لِغَد، (١٣٤) فلم أَجِدْ فيه مُسْتَمْتَعًا للبَقاء، ولا مَدْفَعًا للفَناء، لأنه ليس بأُنْثَى فَتَحْمِل، ولا بفَتًى فَيَنْسل، ولا بصَحيحٍ فَيَرْعى، ولا بسليمٍ فَيَبْقى، (١٣٥) فَمِلْتُ إلى الثاني من رَأْيَيْك وعملتُ على الأخير(١٣٦) من قَوْلَيْك، وقلتُ: أَذْبَحُه فيكون وَظيفةً للعيال، وأُقيمُه رَطْبًا مَقامَ قَديدِ(١٣٧) الغَزال، فَأَنْشَدَني وقد أُضْرِمَت النَّار، وحُدَّت الشِّفار، (١٣٨) وَشَمَّر

---

(١٢٨) *نهاية الأرب*: «اليد ».

(١٢٩) *زهر الآداب*: «إلى السبع . . .»؛ *نهاية الأرب*: «أو طرح . . .»؛ عافه وقلاه: كلاهما بمعنى كرهه.

(١٣٠) *جمع الجواهر* و*نهاية الأرب*: «وقد طال . . .»؛ الكلأ: ما يرعى، أو هو العشب رطبه ويابسه.

(١٣١) *نهاية الأرب*: «عرف» متروك؛ القتّ: الفصفصة الرطبة من علف الدواب واليابسة منها، واحدة: قتّة.

(١٣٢) *نهاية الأرب*: «خصب الشهر»؛ الخصب: النمو واتساع العيش؛ الرَّحْل: منزل الرجل ومسكنه وما يستصحبه من الأثاث، يقال: إنه لخصيب الرحل.

(١٣٣) كذا ورد في *جمع الجواهر*، والذي في *زهر الآداب*: «لما تعرف . . . في التوفير . . . للتثمير»، وفي *نهاية الأرب*: «لما تعلمه . . . في التوفير . . . .»

(١٣٤) *جمع الجواهر*: «للغد» ـ وقال محقق *نهاية الأرب*: في هامشه إن في بعض المخطوطات: «لعتد» وفسره بقوله: فرس عتد: معدّ للجري أو شديد تام الخلق.

(١٣٥) *جمع الجواهر*: «مستمتعًا لبقاء . . . لفناء . . . تحمل . . . ينسل . . . يرعى . . . يبقى» ـ *نهاية الأرب*: «فيحمل . . .» وقال محققه في هامشه إن في الأصلين: «ثرعى . . . يبقى» من غير فاء.

(١٣٦) كذا في *جمع الجواهر* وفي *زهر الآداب*: وعوّلت على الآخر . . .، وفي *نهاية الأرب*: «وعملت بالآخر . . . .»

(١٣٧) الوظيفة من كل شيء: ما يقدّر في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب؛ رطب: نديّ لينّ؛ القديد: اللحم المشرّر المملوح المجفّف في الشمس، أو ما قطع منه طوالاً.

(١٣٨) كذا في *جمع الجواهر* وفي *زهر الآداب*، تحقيق زكي مبارك، ط ٢ (القاهرة، الرحمانية)، مج ٢، ص ٢٥٦ والذي في *زهر الآداب*، تحقيق البجاوي: «وحذّت» وفي *نهاية الأرب*: «وحددت» ـ حدّ =

الجَزَّار: (١٣٩)

أُعِـيذُهـا نَظَرَاتٍ مِنْـكَ صادِقَـةً   أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُه وَرَمُ

وقال: (١٤٠) ما الفائدة لك في ذَبْحِي؟ وإنّما أنا كما قيل:

لم يَبْـق إلا نَفَسٌ خافـتُ   ومُـقْـلَةٌ إنـسـانُها باهـتُ(١٤١)

لستُ بذي لَحْمٍ فَأَصْلُحِ للأكْل، لأن الدهرَ قد أَكَلَ لَحْمي، ولا جلدي يَصْلُحُ للدِّبـاغ لأن الأيامَ قد مَزَّقت أَديمي، ولا لي صوف يَصْلُحُ للغَـزْل، لأن الحـوادث قد حَصَّتْ(١٤٢) وَبَري، فإن أَرَدْتَني لِلْوَقُود، فكفُّ بَعْرٍ أَبْقَى من ناري، ولن تَفِيَ حرارةُ جَمْري، بريحِ قُتَارِي، فلم يَبْقَ إلّا أن تَطْلُبَنى بِذَحْل(١٤٣) أو بيني وَبَيْنَك دَم.

فلان السيف وكلّ ذي شفرة: شحذه أو مسحه بمبرد ونحوه ليرقّ حده ـ حدّ الشيء: قطعه قطعًا سريعًا مستأصلاً ـ الشفار جمع الشفرة وهي السكين العظيمة العريضة، أو ما حدّد وعرّض من الحديد.

(١٣٩) البيت للمتنبي، وهـو في *ديوانـه*، تحقيق عبـدالوهاب عزام، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ص ٣٢٣ وورود هذا البيت على هذا النحو دليل على أن هذه القطعة الوصفية كتبها أبو الخطاب بعد أن انتشرت قصيدة المتنبي في عتاب سيف الدولة، وبعد أن حفظها الناس وجرت بعض أبياتها على ألسنتهم مجرى الأمثال. ومن المعروف أن المتنبي بدأ يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ وأنه قال قصيدته المشهورة في عتابه بعد أن قضى في صحبته حوالي ثمانية أعوام.

(١٤٠) *جمع الجواهر* و *نهاية الأرب*: «قال» متروك.

(١٤١) هذا ما ورد في *نهاية الأرب*، والـذي في *زهـر الآداب* و *جمع الجواهر*: «وأنا لم يبق مني (*جمع الجـواهـر*: فيّ) إلّا نفس خافت. . .»؛ المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ـ أو الحدقة، أو العين كلها؛ إنسان العين: ناظرها.

(١٤٢) *جمع الجواهر*: «ولست بذي لحم. . . للدباغ يصلح. . . ولا صوفي. . .»؛ *نهاية الأرب*: «ليس لي لحم يصلح (وفي هامشه أن في الأصلين: فيصلح). . . فإن الدهر أكل. . . ولا جلد يصلح للدبغ فإن الأيام مزقت. . . ولا صوف. . . فإن الحوادث حصت.»؛ الأديم: الجلد ما كان، وقيل: الأحمر؛ حصّ: حلق وأزال.

(١٤٣) *جمع الجواهر*: «فكف حطب. . . ولا تفي. . .»؛ *نهاية الأرب*: «وإن أردتني. . . أدفأ من ناري ولم تف. . . برائحـة. . . ولم يبق. . . تطالبني. . .»؛ القتـار: ريح القـدر والشـواء والعـظم المحرّق، وربما جعلت العرب الشحم والدسم قتارًا؛ الذحل: الثأر أو العداوة.

فَوَجَدْتُه صادِقًا في مَقَالتِه، نَاصِحًا في مَشُورتِه، ولم أَعْلَمْ من أيِّ أَمْرَيه أَعْجَبُ: أَمِنْ مُماطَلَتِه للدَّهر بالبقاء؟ أم من صَبْرِه على الضُّرِّ واللَّأْواء؟ أم من قُدْرَتِك عليه مع إِعْواز مِثْلِه؟ أم من تَأْهِيلك الصديقَ به مع خَسَاسِة قَدْره؟(١٤٤)

ويا ليت شعري إذ كُنْتَ — وَالي سوق الغَنَم، (١٤٥) وأَمْرُك يَنْفُذُ في الضَّأْنِ والمَعْز، وكلِّ كَبْشٍ سَمِين، وحَمَلٍ بَطِين مَجْلُوبٍ إليك مَقْصُورٍ عليك — تقول فيه فلا تُرَدّ، وتُرَيدُه فلا تُصَدّ، (١٤٦) وكانت هديتُك هذا الذي كأنه ناشِرٌ من القبور، أو قائمٌ عند النَّفْخ في الصُّور، (١٤٧) فما كنتَ مُهديًا لو أنك رجلٌ من عُرْض الكُتّاب كأبي عليٍّ وأبي الخطاب؟(١٤٨) ما كنت تُهْدِي إلا كَلْبًا أَجْرَبَ أو قِرْدًا أَحْدَب. (١٤٩)

---

(١٤٤) *جمع الجواهر*: «فلم أعلم. . . أمماطلته الدهر. . . على الضير والبلاء. . . أم قدرتك. . . أم تأهيلك. . .»؛ *نهاية الأرب*: «أي أموره. . . الدهر على البقاء. . . الضر والبلاء. . . مع عوز. . . من إتحافك. . . على خساسة. . .»؛ المماطلة: التسويف والمدافعة؛ اللأواء: الشدة وضيق المعيشة؛ الإعواز: الفقر والاحتياج إلى الشيء مع عدم القدرة عليه؛ أهّله للأمر تأهيلاً: صيره أو رآه أهلاً له؛ الخساسة: النقص وخفّة الوزن، وخسّ الشيء: رذل.

(١٤٥) *زهر الآداب*: «وإليك» موضع «وإلى» وهو الأنسب؛ *جمع الجواهر*: «سوق» متروك؛ *نهاية الأرب*: إذا (وفي هامشه أن في الأصلين: إذ. . . الأغنام).

(١٤٦) *زهر الآداب*: «تقول فيه قولاً. . .»؛ *جمع الجواهر*: «تقول فلا ترد وتريد. . .»؛ *نهاية الأرب*: «في المعز والضأن وكل حمل سمين وكبش بطين. . . وموقوف عليك. . .»؛ الضأن: بسكون الهمزة وفتحها، جمع الضائن، وهو ذو الصوف من الغنم، ويوصف به فيقال: كبش ضائن؛ المعز: بسكون العين وفتحها جمع الماعز، وهو ذو الشعر من الغنم خلاف الضأن، وهي العنز، والأنثى ماعزة ومعزاة؛ الكبش: فَحْل الضأن في أي سن كان.

(١٤٧) وضع محقق *نهاية الأرب* لفظ «كأنه» بين معقوفين وقال إنها تكملة من *مباهج الفكر*؛ وفي *نهاية الأرب* أيضًا: «. . . أنشر. . . أو أقيم. . .»؛ *جمع الجواهر*: «وقائم. . .»؛ نشر الله الميت وأنشره: أحياه؛ الصور: القرن، وبه فسر المفسرون قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ المؤمنون ١٠١، الحاقة ١٣، وانظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، صور.

(١٤٨) *جمع الجواهر*: «لو كنت رجلاً. . .»؛ *نهاية الأرب*: «ما تهدى إلا. . .»؛ عُرض الكتاب: عامتهم؛ وأبو علي: لا أدري من هو؛ وأبو الخطاب: يريد به نفسه.

(١٤٩) ورد هذا النص في: *زهر الآداب* للحصري، تحقيق البجاوي، ص ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨ (=تحقيق: زكي مبارك، مج ٢، ص ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦)، وفي *جمع الجواهر في الملح والنوادر* لإبراهيم بن=

النص السابع

كتب أبو الخطاب إلى عزّ الدولة أبي منصور بختيار على سبيل المطايبة: (١٥٠) وأمره أن يَتَخَيَّرَ من أَطَايب ما يُقَرَّب إليه، ولا يَتَعَذَّر هَضْمُه، ولا يُبْطِيء اسْتِمْرَاؤه، (١٥١) وأن يَعْتَمِدَ صُدُورَ الدَّجَاج وخَوَاصِرَ الحُمْلان، وَيَتَجَنَّب شُحُومَ الكُلَى، فإنها تَمْنَعُ من الإِمعان، (١٥٢) وأن يُحاكىَ حوتَ يُونُسَ في جَوْدةِ الالتِقَام، (١٥٣) وثُعبانَ مُوسى في سُرْعَة الالتِهام، (١٥٤) ويبادرَ الطَّرف باستراطِه وَيَسْبقَ النَّفَس(١٥٥) بازْدِرَاده. (١٥٦)

علي بن تميم الحصري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، (القاهرة: الحلبي، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ص ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ وفي المصدر نفسه أيضًا، والمسمى: *ذيل زهر الآداب* (القاهرة: الرحمانية، د.ت.)، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤. كما ورد في *نهاية الأرب* للنويري، مج ١٠، ص ص ١٢٨ ـ ١٣٠، عند الحديث عما قيل في الغنم والضأن والمعز، وقد نشره محققه معتمدًا على أصول الكتاب، وعلى «مباهج الفكر» (كذا)، والمعروف أن لمحمد بن إبراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ) كتابًا ما زال مخطوطًا يحمل اسم *مناهج الفكر ومباهج العبر* يتألف من ست مجلدات؛ انظر الزركلي، *الأعلام*، مج ٦، ص ١٨٧؛ وعمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين* (دمشق: الترقي، ١٩٥٩م)، مج ٨، ص ٢٢٢.

(١٥٠) المطايبة: المفاكهة والممازحة بالقول.

(١٥١) استمرأ الطعام ومَرئه: وجده مريئًا، أي هنيئًا سائغًا.

(١٥٢) الإمعان: الإبعاد في الشيء والمبالغة في استقصائه، والمراد هنا: الإمعان في الطعام.

(١٥٣) الالتقام: الابتلاع في مهلة؛ وانظر ما ورد عن يونس عليه السلام في السور القرآنية: الصافات، ١٣٩ ـ ١٤٨؛ القلم، ٤٨ ـ ٥٠؛ الأنبياء، ٨٧ ـ ٨٨.

(١٥٤) وردت عبارة: «يأكل أكل الحوت الملتقم والثعبان الملتهم» في *سحر البلاغة*، بعد عنوان: «ذكر النهم الأكول»؛ يقال: التهم الفصيل ما في الضرع التهامًا أي استوفاه واشتفّه، وانظر عن موسى عليه السلام: الأعراف، ١٠٣ ـ ١٢٢؛ طه، ١٧ ـ ٢١، ٦٩؛ الشعراء، ٣٢، ٤٥.

(١٥٥) استرط الطعام وازدرده: كلاهما بمعنى ابتلعه.

(١٥٦) الثعالبي، *ثمار القلوب*، ص ٥٥ عند الحديث عن «حوت يونس»، يُشَبَّه به النهم الأكول الجيد الالتقام والالتهام، كما يشبه بعصا موسى. وأورد الثعالبي أيضًا، من: «يحاكى صوت...» إلى «... الالتهام» بدون نسبه في: *التوفيق للتلفيق*، تحقيق ابراهيم صالح (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٧٠ بعد عنوان: «ووصف بعضهم أكولا، فقال...»؛ وانظر: الثعالبي، سحر *البلاغة*، ص ٣٨.

النص الثامن

كان أبو الخطاب الكاتب يومًا في سُرادق،(١٥٧) فَحَمِيتْ عليه الشمس، ومنعته القَيْلُولة، فقال:

مَنْ قَائِلٌ لعُبَيْدِ الله عَنْ رَجُلٍ   في صَدْره من بَقَايا شَوْقِه مِزَقُ(١٥٨)
هَلْ أَنْتَ مُنْقِذُ نَفْسٍ مِنْ حُشاشَتِها   بَعْضُ المَنِيّةِ مَشْدُودٌ بها الرَّمَق(١٥٩)
إذ نَحْنُ في النارِ صَرْعَى قد أَحَاطَ بنا   سُرادِقُ النّارِ إلا أَنَّها حُرَق(١٦٠)

---

(١٥٧) السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء، أو الذي يمدّ فوق صحن الدار.

(١٥٨) في *ثمار القلوب*: «مذق» بالذال، وليس بشيء، فجعلته بالزاي؛ المِزَق: القطع من الممزوق، واحدها: مِزقة.

(١٥٩) الحشاشة: رمق الحياة وبقية الروح في المريض والجريح.

(١٦٠) الثعالبي، *ثمار القلوب*، ص ٥٨٧ تحت عنوان: «سرادق النار» وقال: «هو من الاستعارات في القرآن التي لا أفصح منها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾.

Abu' al-Khaṭṭāb al-Mufaḍḍal b. Thābit al-Ṣābī and His Remaining Prose Writing

Muhammad Yonis Abdel Alī Riḍwan
Assistant Professor, Department of Arabic Literature, Faculty of Arts
Ain Shams University, Cairo, Egypt.

Abstract. Abu' al-Khaṭṭāb al-Mufaḍḍal b. Thābit al-Ṣābī was one of the more well known and eloquent writers of the 4th century A.H. Although his artistry is acknowledged, he did not receive much attention in the biographical literary works of that period. Some of his prose can be found in various literary works of al-Tha'ālibī, al-Huṣarī, al-Qalqashandī and al-Nuwayri.

A small amount of biographical details on Abu' al-Khaṭṭāb are available. With the collection of this information a fairly accurate picture of his life and times can be drawn up. For instance, his father was a physician and was a member of the Sabaenan sect. Abu al-Khaṭṭāb obtained the position of official state secretary, a position of some power and had close liasions with the higher political and social circles of his time. His relationship with his cousin Abū Isḥāq al-Ṣābī (d. A.H. 384) was not a cordial or hospitable one.

In reference to style, it seems that he was a good author, with the ability to express himself well on a number of different subjects. He wrote discriptively, with a sarcastic tone. And keeping with the fashion of his times, he employed the use of badī'.

All available texts which can be attributed directly to Abu' al-Khaṭṭāb were collected for this study. The documents are listed in chronological order and are edited.